

{ملتقى التفاسير}

تفسير سورة

الإخلاص

جمع وإعداد

محمد مريس الحجاجي

[ملتقى التفاسير]

[تفسير سورة الإخلاص]

المشهور في تسميتها في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وفيما جرى من لفظه وفي أكثر ما روي عن الصحابة تسميتها (سورة قل هو الله أحد). لافتتاح السورة بذلك كما في كثير من سور القرآن انها تسمى يفتحتها.

وقد روي عن جمع من الصحابة ما فيه تسميتها بذلك ، فذلك هو الاسم الوارد في السنة. وسميت في أكثر المصاحف وفي معظم التفاسير وفي جامع الترمذي (سورة الإخلاص) واشتهر هذا الاسم لاختصاره وجمعه معاني هذه السورة ؛ لأن فيها تعليم الناس إخلاص العبادة لله تعالى ، أي : سلامة الاعتقاد من الإشراك بالله غيره في الإلهية. لانها تضمنت التوحيد العلمي وهو توحيد المعرفة كما تضمنت سورة الكافرون التوحيد العملي.

وهذه هي الأسماء المشهورة للسورة وهناك أسماء أخرى.

فقد سميت في بعض المصاحف التونسية سورة التوحيد لأنها تشتمل على إثبات أنه تعالى واحد.

وفي الإتيان أنها تسمى سورة الأساس لاشتغالها على توحيد الله وهو اساس الإسلام .

وذكر في الكشف : أنها وسورة الكافرون تسميان المقشقتين ، أي : المبرئتين من الشرك ومن النفاق.

وسماها البقاعي في نظم الدرر سورة الصمد .

وقال الفخر الرازي : " اعْلَمْ أَنَّ كَثْرَةَ الْأَقَابِ تَدُلُّ عَلَى مَزِيدِ الْفَضِيلَةِ ، وَالْعُرْفُ يَشْهَدُ لِمَا ذَكَرْنَاهُ فَأَحَدُهَا : سُورَةُ التَّفْرِيدِ .

وثانيها : سُورَةُ التَّجْرِيدِ .

وثالثها : سُورَةُ التَّوْحِيدِ .

ورابعها : سُورَةُ الْإِخْلَاصِ لِأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ سِوَى صِفَاتِهِ السَّلْبِيَّةِ الَّتِي هِيَ صِفَاتُ الْجَلَالِ " .

(ثم ذكر أسماء أخرى ومنها الصمد وبعضها لا دليل صحيح عليه حتى اوصلها الى عشرين).

فضل سورة الإخلاص

عن أبي الدرداء- رضى الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن. قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تعدل ثلث القرآن» رواه مسلم.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اخْشُدُوا، فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»، فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَرَأَ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، ثُمَّ دَخَلَ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: إِنِّي أَرَى هَذَا خَبَرٌ جَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَذَلِكَ الَّذِي أَدْخَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ» رواه مسلم (١).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا (السامع أبو سعيد الخدري والقارئ قتادة ابن النعمان رضي الله عنهما) يَقْرَأُ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَتَقَالَّهَا (يرى أن الاختصار على قراءتها قليل)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ» رواه البخاري. (٢)

١ - قال النووي في شرح مسلم: " قَالَ الْقَاضِي : قَالَ الْمَازِرِيُّ : قِيلَ : مَعْنَاهُ أَنَّ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَثْنَاءَ قَصَصٍ وَأَحْكَامٍ وَصِفَاتٍ لِلَّهِ تَعَالَى ، وَ { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } مُتَضَمِّنَةٌ لِلصِّفَاتِ . فَهِيَ ثُلُثٌ ، وَجُزْءٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَجْزَاءَ ، وَقِيلَ : مَعْنَاهُ أَنَّ ثَوَابَ قِرَاءَتِهَا يُضَاعَفُ بِقَدْرِ ثَوَابِ قِرَاءَةِ ثُلُثِ الْقُرْآنِ بِغَيْرِ تَضْعِيفٍ . "

٢ - قال ابن حجر في الفتح: " قَوْلُهُ : (ثُلُثُ الْقُرْآنِ)

حَمَلَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ عَلَى ظَاهِرِهِ فَقَالَ : هِيَ ثُلُثٌ بِإِعْتِبَارِ مَعَانِي الْقُرْآنِ ، لِأَنَّهُ أَحْكَامٌ وَأَخْبَارٌ وَتَوْحِيدٌ وَقَدْ اشْتَمَلَتْ هِيَ عَلَى الْقِسْمِ الثَّلَاثِ فَكَانَتْ ثُلُثًا بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ ، وَيَسْتَأْنِسُ لِهَذَا بِمَا أَخْرَجَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ " جُزْأُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءَ : فَجَعَلَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ جُزْأً مِنْ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ " وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ : اشْتَمَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى إِسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى يَتَضَمَّنَانِ جَمِيعَ أَصْنَافِ الْكَمَالِ لَمْ يَوْجَدْ فِي غَيْرِهَا مِنَ السُّورِ وَهُمَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ ، لِأَنَّهُمَا يَدُلَّانِ عَلَى أَحَدِيَّةِ الذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ الْمُوصُوفَةِ بِجَمِيعِ أَوْصَافِ الْكَمَالِ ، وَيَبَيِّنُ ذَلِكَ أَنَّ الْأَحَدَ يُشْعِرُ بِوُجُودِهِ الْخَاصَّ الَّذِي لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ ، وَالصَّمَدُ يُشْعِرُ بِجَمِيعِ أَوْصَافِ الْكَمَالِ لِأَنَّهُ الَّذِي انْتَهَى إِلَيْهِ سُؤْدُودُهُ

فَكَانَ مَرْجِعُ الطَّلَبِ مِنْهُ وَإِلَيْهِ ، وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ التَّحْقِيقِ إِلَّا لِمَنْ حَازَ جَمِيعَ خِصَالِ الْكَمَالِ وَذَلِكَ لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى ، فَلَمَّا اشْتَمَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى مَعْرِفَةِ الذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ كَانَتْ بِالتَّسْبِيَةِ إِلَى تَمَامِ الْمَعْرِفَةِ بِصِفَاتِ الذَّاتِ وَصِفَاتِ الْفِعْلِ ثُلُثًا ١ هـ . وَقَالَ غَيْرُهُ : تَضَمَّنَتْ هَذِهِ السُّورَةُ تَوْجِيهَ الْإِعْتِقَادِ وَصَدَقَ الْمَعْرِفَةُ وَمَا يَجِبُ اثْبَاتُهُ لِلَّهِ مِنَ الْأَحَدِيَّةِ الْمُنَافِيَةِ لِمُطْلَقِ الشَّرِكَةِ ، وَالصَّمَدِيَّةِ الْمُثْبِتَةِ لَهُ جَمِيعَ صِفَاتِ الْكَمَالِ الَّذِي لَا يَلْحَقُهُ نَقْصٌ ، وَنَفْيِ الْوَلَدِ وَالْوَالِدِ الْمُقَرَّرِ لِكَمَالِ الْمَعْنَى ، وَنَفْيِ الْكُفْءِ الْمُتَضَمِّنِ لِنَفْيِ الشَّبِيهِ وَالنَّظِيرِ ، وَهَذِهِ مَجْمَعُ التَّوْحِيدِ الْإِعْتِقَادِيِّ ، وَلِذَلِكَ عَادَلَتْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ لِأَنَّ الْقُرْآنَ خَبَرٌ وَإِنْشَاءٌ ، وَالْإِنْشَاءُ أَمْرٌ وَهَيِّ وَإِبَاحَةٌ ، وَالْخَبَرُ خَبَرٌ عَنِ الْخَالِقِ وَخَبَرٌ عَنِ خَلْقِهِ ، فَأَخْلَصَتْ سُورَةُ الْإِخْلَاصِ الْخَبَرَ وَعَنِ اللَّهِ وَخَلَصَتْ قَارِئُهَا مِنَ الشَّرِكِ الْإِعْتِقَادِيِّ . وَمِنْهُمْ مَنْ حَمَلَ الْمِثْلِيَّةَ عَلَى تَحْصِيلِ الثَّوَابِ فَقَالَ : مَعْنَى كَوْنِهَا ثُلُثُ الْقُرْآنِ أَنَّ ثَوَابَ قِرَاءَتِهَا يَحْصُلُ لِلْقَارِئِ مِثْلَ ثَوَابِ مَنْ قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ وَقِيلَ مِثْلُهُ بِغَيْرِ تَضْعِيفٍ ، وَهِيَ دَعْوَى بِغَيْرِ دَلِيلٍ ، وَيُؤَيِّدُ الْإِطْلَاقَ مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ فَذَكَرَ نَحْوَ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْآخِرِ وَقَالَ فِيهِ " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ " وَلَمْ يُسَلِّمْ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَحْشُدُوا ، فَسَاقِرُكُمْ عَلَيْكُمْ ثُلُثُ الْقُرْآنِ . فَخَرَجَ فَقَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ " وَلِأَبِي عُبَيْدٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَنٍ كَعْبٍ " مَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ ، وَإِذَا حُمِلَ ذَلِكَ عَلَى ظَاهِرِهِ فَهَلْ ذَلِكَ لِثُلُثٍ مِنَ الْقُرْآنِ مُعَيَّنٍ أَوْ لِأَيِّ ثُلُثٍ فُرِضَ مِنْهُ ؟ فِيهِ نَظَرٌ ، وَيَلْزَمُ عَلَى الثَّانِي أَنَّ مَنْ قَرَأَهَا ثَلَاثًا كَانَ كَمَنْ قَرَأَ حَتْمَةً كَامِلَةً . وَقِيلَ : الْمُرَادُ مَنْ عَمِلَ بِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ كَانَ كَمَنْ قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ . وَادَّعَى بَعْضُهُمْ أَنَّ قَوْلَهُ " تَعْدِلُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ " يَخْتَصُّ بِصَاحِبِ الْوَاقِعَةِ لِأَنَّهُ لَمَّا رَدَّدَهَا فِي لَيْلَتِهِ كَانَ كَمَنْ قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ بِغَيْرِ تَرْغِيدٍ ، قَالَ الْقَابِسِيُّ : وَلَعَلَّ الرَّجُلَ الَّذِي جَرَى لَهُ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَحْفَظُ غَيْرَهَا فَلِذَلِكَ اسْتَقَلَّ عَمَلُهُ ، فَقَالَ لَهُ الشَّارِعُ ذَلِكَ تَرْغِيئًا لَهُ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ وَإِنْ قُلَّ . وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : مَنْ لَمْ يَتَأَوَّلْ هَذَا الْحَدِيثَ أَخْلَصَ مِنْ أَجَابِ فِيهِ بِالرَّأْيِ . وَفِي الْحَدِيثِ اثْبَاتُ فَضْلِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : إِنَّهَا تُضَاهِي كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ لِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْجَمَلِ الْمُثْبِتَةِ وَالنَّافِيَةِ مَعَ زِيَادَةِ تَعْلِيلٍ ، وَمَعْنَى النَّفْيِ فِيهَا أَنَّ الْخَالِقَ الرَّزَّاقَ الْمَعْبُودَ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَهُ مَنْ يَمْنَعُهُ كَالْوَالِدِ ، وَلَا مَنْ يُسَاوِيهِ فِي ذَلِكَ كَالْكُفْءِ ، وَلَا مَنْ يُعِينُهُ عَلَى ذَلِكَ كَالْوَلَدِ . وَفِيهِ إِفْقَاءُ الْعَالَمِ الْمَسَائِلِ عَلَى أَصْحَابِهِ ، وَاسْتِعْمَالُ اللَّفْظِ فِي غَيْرِ مَا يَتَبَادَرُ لِلْفَهْمِ ، لِأَنَّ الْمُتَبَادَرَ مِنْ إِطْلَاقِ ثُلُثِ الْقُرْآنِ أَنَّ الْمُرَادَ ثُلُثَ حَجْمِهِ الْمَكْتُوبِ مَثَلًا ، وَقَدْ ظَهَرَ أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُرَادٍ . "

وقال الطاهر بن عاشور : " واختلفت التآويل التي تأوَّل بها أصحابُ معاني الآثار بهذا الحديث ويجمَعُها أربعُ تأويلاتٍ . الأولُ : أَنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ فِي ثَوَابِ الْقِرَاءَةِ ، أَيُّ : تَعْدِلُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ إِذَا قُرِئَ بِدُونِهَا حَتَّى لَوْ كَرَّرَهَا الْقَارِئُ ثَلَاثَ

مَرَّاتٍ كَانَ لَهُ ثَوَابٌ مِّن قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ.

الثَّانِي: أَنَّهَا تَعْدِلُ ثُلْثَ الْقُرْآنِ إِذَا قَرَأَهَا مَن لَا يُحْسِنُ غَيْرَهَا مِّن سُورِ الْقُرْآنِ. (وهذا لا دليل عليه).

الثَّالِثُ: أَنَّهَا تَعْدِلُ ثُلْثَ مَعَانِي الْقُرْآنِ بِاعْتِبَارِ أَجْنَاسِ الْمَعَانِي؛ لِأَنَّ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ أَحْكَامٌ وَأَخْبَارٌ وَتَوْحِيدٌ، وَقَدْ انْفَرَدَتْ هَذِهِ السُّورَةُ بِجَمْعِهَا أَصُولَ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مَا لَمْ يَجْمَعْهُ غَيْرُهَا.

وأقول: إِنَّ ذَلِكَ كَانَ قَبْلَ نُزُولِ آيَاتِ مِثْلِهَا مِثْلَ آيَةِ الْكُرْسِيِّ، أَوْ لِأَنَّهُ لَا تُوجَدُ سُورَةٌ وَاحِدَةٌ جَامِعَةٌ لِمَا فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ.

التَّأْوِيلُ الرَّابِعُ: أَنَّهَا تَعْدِلُ ثُلْثَ الْقُرْآنِ فِي الثَّوَابِ مِثْلَ التَّأْوِيلِ الْأَوَّلِ، وَلَكِنْ لَا يَكُونُ تَكْرِيرُهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِمَنْزِلَةِ قِرَاءَةِ خَتْمَةٍ كَامِلَةٍ.

قَالَ ابْنُ رُشْدٍ فِي الْبَيَانِ وَالتَّحْصِيلِ: أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مَن قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَا يُسَاوِي فِي الْأَجْرِ مَن أَحْيَا بِالْقُرْآنِ كُلَّهُ. اهـ. فَيَكُونُ هَذَا التَّأْوِيلُ قَيْدًا لِلتَّأْوِيلِ الْأَوَّلِ، وَلَكِنَّ فِي حِكَايَتِهِ الْإِجْمَاعَ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمُرَادُ - نَظَرًا، فَإِنَّ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ مَا هُوَ صَرِيحٌ فِي أَنَّ تَكْرِيرَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَعْدِلُ قِرَاءَةَ خَتْمَةٍ كَامِلَةٍ. قَالَ ابْنُ رُشْدٍ: وَاجْتِلَافُهُمْ فِي تَأْوِيلِ الْحَدِيثِ لَا يَرْتَفِعُ بِشَيْءٍ مِنْهُ عَنِ الْحَدِيثِ الْإِشْكَالِ وَلَا يَتَخَلَّصُ عَنْ أَنَّ يَكُونَ فِيهِ اعْتِرَاضٌ.

وَقَالَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: السُّكُوتُ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَفْضَلُ مِنَ الْكَلَامِ فِيهَا. "

فَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي الْأَسْتِذْكَارِ: " وَقَدْ اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ قَوْمٌ إِنَّهُ لَمَّا سَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرُدُّهَا وَيَكْثُرُ تَرْدَادُ قِرَاءَتِهَا إِمَّا لِأَنَّهُ لَمْ يَحْفَظْ غَيْرَهَا وَإِمَّا لَمَّا جَاءَهُ مِنْ فَضْلِهَا وَبَرَكَتِهَا وَأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ يَرُدُّهَا حَتَّى بَلَغَ تَرْدَادُهَا بِالْكَلِمَاتِ وَالْحُرُوفِ وَالْآيَاتِ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ لَهُ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ يَعْنِي عَلَى هَذَا الْوَجْهِ لَمَّا كَانَ مِنْ تَكَرُّارِهَا

وهذا تأويل فيه بعد عن ظاهر الحديث والله أعلم

وقال آخرون بل ذلك لما تضمنت سورة (قل هو الله أحد) من التوحيد والإخلاص والتنزيه لله تعالى عن الأنداد والأولاد

قال قتادة هي سورة خالصة لله ليس فيها شيء من أمر الدنيا والآخرة

وقال إن الله أسس السماوات السبع والأرضين السبع على هذه السورة (قل هو الله أحد)

قالوا فلهذا كله وما كان مثله كان ذلك الفضل فيها لتاليها

وهذا وجه حسن من التأويل إلا أنه لا يقال في غيرها من آيات القرآن المضمنات من التوحيد والإخلاص ما في (قل هو الله أحد) أنها تعدل ثلث القرآن ولو كانت العلة ما ذكر لزم ذلك في مثلها حيث كانت من القرآن كقوله { الله لا إله إلا هو الحي القيوم } [البقرة ٢٥٥] و { لا إله إلا هو الرحمن الرحيم } [البقرة ١٦٣] وكآخر سورة الحشر وما كان مثل ذلك .

وخالفت طائفة معنى الحديث في (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن أن الله تعالى جعل القرآن ثلاثة أجزاء فجعل (قل هو الله أحد) منها جزءا واحدا وزعموا أن تلك الأجزاء على ثلاثة معان أحدها القصص والأخبار والثاني الشرائع والحلال والحرام والثالث صفاته تبارك اسمه وفي سورة (قل هو الله أحد) صفاته فلذلك تعدل ثلث القرآن واعتلوا بحديث قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة اليعمرى عن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لأصحابه : ((أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة قالوا نحن أعجز من ذلك وأضعف قال إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل (قل هو الله أحد) جزءا من أجزاء القرآن)) .

قال أبو عمر ليس في هذا الحديث حجة لما ذكره ولا فرق بين ثلاثة أجزاء وثلاثة أثلاث أو ثلاثة سهام لأن ذلك كله معناه واحد وقد وجدنا في خاتمة سورة الحشر وغيرها من صفات الله أكثر مما في (قل هو الله أحد) ولم يأت في شيء منها أنها تعدل ثلث القرآن كما جاء في (قل هو الله أحد) ولما لم تعدل (قل هو الله أحد) في كلماتها ولا في حروفها إلا أنها تعدل في الثواب لمن تلاها ثلث القرآن وهذا هو الذي يشهد له ظاهر الحديث وهو الذي يفر منه من خاف (واقعة) تفضيل القرآن بعضه على بعض وليس فيما يعطي الله عبده من الثواب على عمل يعمل ما يدل على فصل ذلك العمل في نفسه بل هو فضله (عز وجل) يؤتيه من يشاء من عباده على ما يشاء من عباداته تفضلا منه على من يشاء منهم وقد قال الله (عز و جل) { ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها } [البقرة ١٠٦] .

ولم يختلف العلماء بتأويل القرآن أنها خير لعبادة المؤمنين التالين لها والعاملين بها إما بتخفيف عنهم وإما بشفاء صدورهم بالقتال لعدوهم لأنها في ذاتها أفضل من غيرها فكذلك (قل هو الله أحد) خير لنا لأن الله يتفضل على تاليتها من الثواب بما شاء ولسنا نقول في ذاتها أفضل من غيرها لأن القرآن عندنا كلام الله وصفة من صفاته ولا يدخل التفاضل في صفاته لدخول النقص في المفضول منها

هذا كله قد قاله أهل السنة والرأي والحديث على أني أقول إن السكوت في هذه المسألة وما كان مثلها أفضل من الكلام فيها وأسلم

حدثنا عبيد بن محمد قال حدثنا سلمة بن الملعلى قال حدثنا عبد الله بن الجارود قال حدثنا إسحاق بن منصور قال قلت لأحمد بن حنبل قوله صلى الله عليه وسلم (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن ما وجهه فلم يقم لي فيها على أمر بين قال وقال لي إسحاق بن راهويه معناه أن الله (عز و جل) لما فضل كلامه على سائر الكلام جعل لبعضه أيضا فضلا من الثواب لمن قرأه تحريضا منه على تعليمه لأن من قرأ (قل هو الله أحد) ثلاث مرات كمن قرأ القرآن كله هذا لا يستقيم ولو قرأ (قل هو الله أحد) مائتي مرة.

قال أبو عمر هذان عالمان بالسنن وإمامان في السنة ما قاما ولا قعدا في هذه المسألة وقد أجمع أهل العلم بالسنن والفقه وهم أهل السنة عن الكف عن الجدال والمناظرة فيما سبيلهم اعتقاده بالأفئدة مما ليس تحته عمل وعلى الإيمان بمتشابه القرآن والتسليم له ولما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث الصفات كلها وما كان في معناها وإنما يبيحون المناظرة في الحلال والحرام وما كان في سائر الأحكام يجب العمل بها حدثنا عبد الوارث بن سفيان قال حدثنا قاسم بن أصبغ قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا مصعب بن عبد الله قال سمعت مالك يقول إن أهل بلدنا يكرهون الجدال والكلام والبحث والنظر إلا فيما تحته عمل وأما ما سبيله الإيمان به واعتقاده والتسليم له فلا يرون فيه جدالا ولا مناظرة .

والراجح أن المراد ثلثه من حيث الأجر. فلا مانع أن يجعل الله في الأحرف القليلة من الثواب ما لم يجعل في الكثيرة. ألا ترى أن الصلاة بمكة أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه، والصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من ألف صلاة فيما سوى المسجد الحرام والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة. كما صح ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي الحديث عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِمَرْأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ سَمَّاها ابْنُ عَبَّاسٍ ، فَنَسِيْتُ اسْمَهَا « مَا مَنَعَكَ أَنْ تَحْجِيَ مَعَنَا » . قَالَتْ كَانَ لَنَا نَاضِحٌ فَرَكِبَهُ أَبُو فَلَانٍ وَابْنُهُ - لِرُؤُوسِهَا وَابْنُهَا - وَتَرَكَ نَاضِحًا نَضَحَ عَلَيْهِ قَالَ « فَإِذَا كَانَ رَمَضَانُ اعْتَمِرِي فِيهِ فَإِنَّ عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ حَجَّةٌ » . أَوْ نَحْوًا مِمَّا قَالَ؟ متفق عليه .

والمعنى: أنها تساويها في الأجر لا أنها تقوم مقامها عن الحج الواجب، قال الحافظ في الفتح: فيه دليل على أن الحج الذي ندبها إليه كان تطوعا لإجماع الأمة على أن العمرة لا تجزئ عن حجة الفريضة. فالحاصل أنه أعلمها أن العمرة في رمضان تعدل الحجة في الثواب لا أنها تقوم مقامها في إسقاط الفرض للإجماع على أن الاعتماد لا يجزئ عن الفرض . انتهى.

قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم: أي تقوم مقامها في الثواب لا أنها تعدلها في كل شيء . انتهى .
وقال القاضي ابن العربي :هو فضل الله ونعمته فقد أدركت العمرة منزلة الحج بانضمام رمضان إليها . وقال ابن الجوزي :
فيه أن ثواب العمل يزيد بزيادة شرف الوقت كما يزيد بحضور القلب وخلوص المقصد .
وبهذا يتبين أن هذه الأعمال كالحج في الجزاء لا في الإجزاء فمن عملها لا يسقط عنه حجة الإسلام .
وجاء في مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية أبي يعقوب الكوسج قلت :من قال : عمرة في رمضان تعدل حجة أثبت هو؟
قال : بلى ، هو ثبت .

قال إسحاق: ثبت كما قال، ومعناه: أن يكتب له كأجر حجة، ولا يلحق بالحاج أبداً . انتهى .
قال إسحاق بن راهوية :معنى هذا الحديث - يعني حديث: عمرة في رمضان تعدل حجة - مثل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من قرأ: قل هو الله أحد، فقد قرأ ثلث القرآن . انتهى .
وحمل بعض العلماء هذا الحديث على الخصوصية بتلك المرأة، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية، قال رحمه الله :معلوم أن مراده: أن عمرتك في رمضان تعدل حجة معي، فإنها كانت قد أرادت الحج معه، فتعذر ذلك عليها، فأخبرها بما يقوم مقام ذلك، وهكذا من كان بمنزلتها من الصحابة، ولا يقول عاقل ما يظنه بعض الجهال أن عمرة الواحد منا من الميقات أو من مكة تعدل حجة معه، فإنه من المعلوم بالاضطرار أن الحج التام أفضل من عمرة رمضان، والواحد منا لو حج الحج المفروض لم يكن كالحج معه، فكيف بعمرة!! وغاية ما يحصله الحديث أن تكون عمرة أحدا في رمضان من الميقات بمنزلة حجة . انتهى من مجموع الفتاوى .

قال ابن تيمية في الاقتضاء: " قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن إذ كان القرآن باعتبار معانيه ثلاث أثلاث ثلث توحيد وثلث قصص وثلث أمر ونهي لأن القرآن كلام الله والكلام إما إنشاء وإما إخبار والإخبار إما عن الخالق وإما عن المخلوق والإنشاء أمر ونهي وإباحة فقل هو الله أحد فيها ثلث التوحيد الذي هو خبر عن الخالق وقد قال صلى الله عليه وسلم : ((قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن)) وعدل الشيء بالفتح يكون ما سواه من غير جنسه كما قال تعالى : { أو عدل ذلك صياما } وذلك يقتضي أن له من الثواب ما يساوي الثلث في القدر ولا يكون مثله في الصفة كمن معه ألف دينار وآخر معه ما يعدلها من الفضة والنحاس وغيرهما ولهذا يحتاج إلى سائر القرآن ولا تغني عنه هذه السورة مطلقا كما يحتاج من معه نوع من المال إلى سائر الأنواع إذ كان العبد محتاجا إلى الأمر والنهي والقصص " . (الا انه يرد اشكال وهو ان آيات التوحيد كثيرة وهي ليست بهذا الفضل المذكور وليست آيات التوحيد فقط في هذه السورة).

وقال أيضا في إقامة الدليل على ابطال التحليل: "إنه قد ثبت في صحيح مسلم من حديث ابن أبي عروبة وأبان العطار عن قتادة عن معدان بن أبي طلحة عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: { إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحداً جزءاً من أجزاء القرآن } . فهذه التجزئة إما أن تعود إلى لفظ القرآن وإما أن تعود إلى معناه ، والأول باطل لأن حروف { قل هو الله أحد } ليست بقدر حروف ثلث القرآن بل هي أقل من عشر عشر العشر بكثير ، فعلم أنه أراد بالتجزئة المعنى ، وذلك يقتضي أن معنى حروف القرآن متجزئة وهم قد قالوا إن كلام الله واحد لا يتجزأ ولا يتبعض ولا يتغاير ولا يختلِف ، ولو قيل إن التجرئة للحروف لكن لا يشترط فيها تماثل قدر الحروف بل يكون بالنظر إلى المعنى لكان ذلك حجة أيضاً ، فإنه إذا كان التجرئة باعتبار المعنى علم أن المعنى الذي دلت عليه هذه الحروف ليس هو معاني بقية القرآن . وروى الترمذي وغيره عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن امرأة أبي أيوب عن أبي أيوب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن ، من قرأ { قل هو الله أحد } الصمد { فقد قرأ ثلث القرآن)) ، قال الترمذي هذا حديث حسن فقد أخبر أنها ثلث القرآن . فإن قيل : الحديث المتقدم قد رواه مسلم أيضاً بلفظ آخر أنه : ((قال أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن قالوا وكيف نقرأ ثلث القرآن قال : { قل هو الله أحد } تعدل ثلث القرآن)) . فقوله تعدل ثلث القرآن يبين أنها في نفسها ليست ثلثه ولكن تعدل ثلثه أي في الثواب . قلنا : لا منافاة بين اللفظين فإنها ثلثه باعتبار المعنى وهي تعدل ثلثه باعتبار الحروف أو هي بلفظها ومعناها ثلثه فتعدل ثلثه لأن ذلك اللفظ صريح في معناه وحيث قال ((جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل { قل هو الله أحد } جزءاً من تلك الأجزاء)) فأخبر أن القرآن تجزأ ثلاثة أجزاء وإما هي جزء من تلك الأجزاء ، وهذا لا يصلح أن يراد به مجرد الثواب دون السورة ، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يجمع بين اللفظين كما في الحديث الذي رواه أبو حازم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أحشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن فحشد من حشد ثم خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم فقرأ { قل هو الله أحد } ثم دخل فقال بعضنا لبعض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سأقرأ عليكم وإني لأرى هذا خبراً جاءه من السماء ثم خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال إني قلت سأقرأ عليكم ثلث القرآن ألا وإنها تعدل ثلث القرآن)) . قال الترمذي حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، والذي يبين أن قوله تعدل يدخل فيه حروفها ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري عن قتادة بن النعمان : ((أن رجلاً قام في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ من السحر قل هو الله أحد لا يزيد عليها فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتفأها فقال النبي : والذي

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة فشق ذلك عليهم وقالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله فقال الله الواحد الصمد ثلث القرآن ((رواه البخاري. ()

وَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سِرِّيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ ()، فَيَخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ

نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ ((. وَهَذَا أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ نَفْسِهِ وَكَذَلِكَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتَّسَائُيُّ " .

وقال ابن تيمية في الفتاوى : " وَمَعَانِ الْقُرْآنِ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ : تَوْحِيدٌ، وَقَصَصٌ، وَأَمْرٌ وَنَهْيٌ . { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } مُتَضَمِّنَةٌ ثُلُثَ التَّوْحِيدِ، وَلَا يُسْتَحَبُّ قِرَاءَتُهَا ثَلَاثًا إِلَّا إِذَا قُرِئَتْ مُنْفَرِدَةً وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ : السُّنَّةُ إِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ كُلُّهُ أَنْ يَقْرَأَهَا كَمَا فِي الْمُصْحَفِ، وَأَمَّا إِذَا قُرِئَتْ مُنْفَرِدَةً أَوْ مَعَ بَعْضِ الْقُرْآنِ ثَلَاثًا فَإِنَّهَا تَعْدِلُ الْقُرْآنَ، وَإِذَا قِيلَ : ثَوَابُ قِرَاءَتِهَا مَرَّةً يَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فَمُعَادِلَةُ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ يَقْتَضِي تَسَاوِيَهُمَا فِي الْقَدْرِ لَا تَمَاثُلَهُمَا فِي الْوَصْفِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى { أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا } . وَهَذَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَسْتَغْنِيَ بِقِرَاءَتِهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ عَنْ قِرَاءَةِ سَائِرِ الْقُرْآنِ لِحَاجَتِهِ إِلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْقَصَصِ، كَمَا لَا يَسْتَغْنِي مَنْ مَلَكَ نَوْعًا شَرِيفًا مِنَ الْمَالِ عَنْ غَيْرِهِ " .

١ - قال العيني في شرح البخاري : " قوله الواحد الصمد كناية عن { قل هو الله أحد } [الإخلاص ١] " .
فالمراد الارشاد بذلك الى السورة لا التلاوة قال القرطبي : " وَقَدْ أَسْقَطَ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ مَنْ أَبْعَدَهُ اللَّهُ وَأَخْرَاهُ، وَجَعَلَ النَّارَ مَقَامَهُ وَمَثْوَاهُ، وَقَرَأَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ فِي الصَّلَاةِ، وَالنَّاسُ يَسْتَمِعُونَ، فَأَسْقَطَ : { قُلْ هُوَ }، وَزَعَمَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْقُرْآنِ . وَغَيْرَ لَفْظِ أَحَدٌ، وَأَدْعَى أَنْ هَذَا هُوَ الصَّوَابُ، وَالَّذِي عَلَيْهِ النَّاسُ هُوَ الْبَاطِلُ وَالْمُحَالُّ، فَأَبْطَلَ مَعْنَى الْآيَةِ، لِأَنَّ أَهْلَ التَّفْسِيرِ قَالُوا : نَزَلَتِ الْآيَةُ جَوَابًا لِأَهْلِ الشِّرْكِ لَمَّا قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : صِفْ لَنَا رَبَّكَ، أَمِنْ ذَهَبٍ هُوَ أَمْ مِنْ نُحَاسٍ أَمْ مِنْ صُفْرِ؟ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَدًّا عَلَيْهِمْ : قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . فَفِي هُوَ دَلَالَةٌ عَلَى مَوْضِعِ الرَّدِّ، وَمَكَانِ الْجَوَابِ، فَإِذَا سَقَطَ بَطْلُ مَعْنَى الْآيَةِ، وَصَحَّ الْإِفْتِرَاءُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالتَّكْذِيبُ لِرَسُولِهِ ﷺ . وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ : أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ - " .

٢ - لان السنة ان الامراء هم من يأمون الناس في الصلاة .

يَصْنَعُ ذَلِكَ؟» فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، فَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ» () متفق عليه.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُؤْمَهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ، فَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةً يَقْرَأُ هُمْ فِي الصَّلَاةِ يَقْرَأُ بِهَا، افْتَتَحَ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْهَا، ثُمَّ يَقْرَأُ بِسُورَةٍ أُخْرَى مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ

١ - قال الشيخ عبدالرحمن البراك في شرح الواسطية: "إن محبة الله للعبد هي فوق ما ينال من الثواب، فالمؤمنون المخلصون أولياء الله يتطلعون للفوز بهذه المحبة { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ } [ل عمران: ٣١] والمخلوق يوصف بالمحبة ولكن مع الفرق فللمخلوق محبة تليق به وتناسبه يمكن أن يُعَبَّرَ عنها بشيء ، ميل الشيء أو ميل الإنسان إلى ما يناسب ، الله يوصف بالمحبة وليست المحبة كالمحبة محبة الخالق ليست كمحبة المخلوق كذلك العبد { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) } [الشورى: ١١] لكن محبة الخالق محبة حقيقية لا كما يقول المعطلة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة الذين ينفون حقيقة المحبة الذين ينكرون حقيقة المحبة يقولون: الله لا يحب ولا تليق به صفة المحبة ويفسرون ما جاء في النصوص يحرفون النصوص ، يفسرون بالإرادة يقول: يحب المقسطين يعني يريد الإنعام عليهم ، يحب المتقين يعني يريد أن ينعم عليهم أو يقول: يحب المقسطين يعني يشيد بهم.

وهكذا يفسرون المحبة إما بالإرادة وإما بالثواب ، أو إرادة الثواب فيمحون عن الله حقيقة المحبة وهذا مبني على أصولهم الفاسدة وإن إثبات هذه الصفات يستلزم التشبيه فيقعون في التناقض، ويفرون من شيء فيقعون في نظير أو في شر منه، وأهل السنة والجماعة يثبتون لله ما أثبتته الناس ، يثبتون له كل ما أثبتته لنفسه وأثبتته له رسوله كما تقدم في مذهب أهل السنة والجماعة، فيدخل في ذلك إثبات لله المحبة فأهل السنة يثبتون لله المحبة، بل يثبتون لله المحبة من الجانبين فيقولون: إنه -تعالى- يُحِبُّ وَيُحَبُّ ، يحب المؤمنين والمجاهدين والمقسطين كما في الآيات ويحبه أولياؤه يحبه المؤمنون كما قال سبحانه: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ } [المائدة: ٥٤] بل إنه يختص بمحبته من يشاء كما ذكر في هذه الآيات ، بل إنه يفضل بعض عباده في هذه المحبة ، ولهذا اتخذ من عباده من اتخذ خليلاً كإبراهيم ومحمد -صلوات الله وسلامه عليهما- وسائر النبيين { وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا } [النساء: ١٢٥]

ومن الأدلة على إثبات صفة المحبة قوله -تعالى-: { وَهُوَ الْعَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) } { (٣) ودود ، نقول: من المودة ، من المودة قيل: ودود كغفور يعني كثير المغفرة ، وودود يعني كثير المودة لأوليائه، وقيل: ودود بمعنى مودود أو محبوب والأول هو الراجح في تفسير هذا الاسم .

فِي كُلِّ رَكْعَةٍ () . فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تَقْرَأُ هَذِهِ السُّورَةَ، ثُمَّ لَا تَرَى أَنَّهُ تُجْزِيكَ حَتَّى تَقْرَأَ بِسُورَةٍ أُخْرَى، فَإِمَّا أَنْ تَقْرَأَ بِهَا، وَإِمَّا أَنْ تَدْعَهَا وَتَقْرَأَ بِسُورَةٍ أُخْرَى، قَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أُوْمِّكُمْ بِهَا فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ. وَكَانُوا يَرَوْنَهُ أَفْضَلَهُمْ، وَكَرَهُوا أَنْ يُؤْمَّهُمْ غَيْرُهُ. فَلَمَّا أَتَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ. فَقَالَ: «يَا فَلَانُ، مَا يَمْنَعُكَ مِمَّا يَأْمُرُ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا يَحْمِلُكَ أَنْ تَقْرَأَ هَذِهِ السُّورَةَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ؟» () فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَحْبَبْتُهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ حُبَّهَا أَذْخَلَكَ الْجَنَّةَ» () . رواه الترمذي وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ وَقَالَ الْإِبْرَاهِيمِيُّ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

١ - مما يدل انهما واقعتان مختلفتان فنا في القباء والأول في سرية وهنا يفتح بالإخلاص ثم يتبعها سورة أخرى وفي الأول يقرأ بالسورة ثم يختم بالإخلاص عكس الثاني. وهو يدل على جواز قراءة أكثر من سورة في الركعة الواحدة. فهي سنة تقريرية. بل اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحبه السورة.

وانما اجتهد الرجل في زمن التشريع لظنة ان فعله لا اشكال فيه ثم اقره النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك. ومثله اجتهد بلال رضي الله عنه في ركعتي الوضوء مع ما يؤيدها من حديث حمران مولى عثمان رضي الله عنه في وصفه وضوء النبي صلى الله عليه وسلم وقوله: " من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه الا غفر له ما تقدم من ذنبه.

واما الان فالاجتهاد في التبعيدات المحضة يدخله في البدعة لان الأصل في العبادات التوقيف. لقول النبي صلى الله عليه وسلم ((من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد)).

٢ - قال القرطبي: " قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: " فَكَانَ هَذَا دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ تَكَرُّرُ سُورَةٍ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ. . . قَالَ مَالِكٌ: وَلَيْسَ خَتْمُ الْقُرْآنِ فِي الْمَسَاجِدِ بِسُنَّةٍ " (وقد يُجاب عنه بما صنعه عمر رضي الله عنه من جمع الناس في رمضان على قارئ واحد في رمضان لان امتناع النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك خشية ان تفرض على الامة فيشق عليهم فعلها).

٣ - قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة: " فقال حبك اياها ادخلك الجنة وفي لفظ آخر اخبروه ان الله يحبه فدل على ان من احب صفات الله احبه الله وأدخله الجنة والجهمية اشد الناس نفرة وتنفيرا عن صفاته ونعوت كماله يعاقبون ويذمون من يذكرها ويقرؤها ويجمعها ويعتني بها ولهذا لهم المقت والذم عند الامة وعلى لسان كل عالم من علماء الاسلام والله تعالى اشد بغضا ومقتا لهم جزاء وفاقا " .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَقْبَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجَبَتْ». قُلْتُ: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «الْجَنَّةُ». رواه الترمذي وقال "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ. وصححه الالباني. (لان من حقق التوحيد فقد وجبت له الجنة وليس طل من قرأها تجب له الجنة فقد توجد موانع)

عن ابن عمر قال رمقت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين مرة يقرأ في الركعتين بعد المغرب وفي الركعتين قبل الفجر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد. رواه النسائي وحسنه الالباني.

وقد ورد في فضل هذه السورة العظيمة جملة أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منها قوله: «من قرأ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» عشر مرات بنى الله له بيتا في الجنة» (أخرجه الإمام أحمد من حديث أنس بن معاذ، صححه الالباني في صحيح الجامع الصغير). (وضعفه بعض اهل العلم كابن باز والعدوي)

وعن عائشة : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما (قل هو الله أحد) و (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات " متفق عليه. ().

١ -المسح اما تعودا والقراءة معه بنية الذكر كما هو الوارد في الحديث واما ان يفعله المرء استشفاء كما ورد عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : ((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ بَعْضَهُمْ بِمَسْحِهِ بِيَمِينِهِ أَذْهَبَ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ وَاشْفَى أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا)). رواه البخاري .

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا)) .متفق عليه .

وعن عُقبة بن عامر، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، أَلَا أَعْلَمُكَ خَيْرَ ثَلَاثِ سُورٍ أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَالْفُرْقَانِ الْعَظِيمِ؟». «قُلْتُ: بَلَى، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: فَأَقْرَأْنِي: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾. ثُمَّ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ، لَا تَنْسَاهَنَّ، وَلَا تَبْتَ لَيْلَةً حَتَّى تَقْرَأَهُنَّ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي الْمَجْمَعِ: رَجَالُهُ ثِقَاتٌ. «وَقَالَ الشُّوْكَانِيُّ فِي تَحْفَةِ الزَّاكِرِينَ» رَجَالُ ثِقَاتٍ. «وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي الصَّحِيحَةِ "هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ».

وعن معاذ بن عبد الله بن خبيب عن أبيه أنه قال خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي لنا فأدركناه فقال أصليتم فلم أقل شيئاً فقال قل فلم أقل شيئاً ثم قال قل فلم أقل شيئاً ثم قال قل فقلت يا رسول الله ما أقول قال: ((قل {قل هو الله أحد} والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء)) (يعني مما يحاذره الإنسان ويتخوفه). رواه الترمذي وأبو داود والنسائي قال أبو عيسى وهذا حديث حسن غريب وحسنه الألباني.

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فقال: ((لقد سألت الله بالاسم الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب)). رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم إلا أنه قال فيه لقد سألت الله باسمه الأعظم () ؛ وقال صحيح على شرطهما. وصححه الألباني.

١ - ورد في خصوص " اسم الله الأعظم " عدة أحاديث، أشهرها:

- عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي سُورَةِ الْقُرْآنِ ثَلَاثٌ: فِي " الْبَقَرَةِ " وَ " آلِ عِمْرَانَ " وَ " طه ". رواه ابن ماجه وحسنه الألباني في " صحيح ابن ماجه ".
- وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي ثُمَّ دَعَا اللَّهَ ثُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ. رواه الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه ، وصححه الألباني في "صحيح أبي داود".

• وحديث بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ الْمُتَقَدِّمِ

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: "وهو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك." "فتح الباري / ١١" (225).

• وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: وَإِهْكُمْ إِلَهَ وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، وَفَاتِحَةِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ الْم. اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. رواه الترمذي (٣٤٧٨) وأبو داود (١٤٩٦) وابن ماجه (٣٨٥٥). والحديث ضعيف، فيه عبید الله بن أبي زياد وشهر بن حوشب، وكلاهما ضعيف.

اختلف أهل العلم في "اسم الله الأعظم" من حيث وجوده على أقوال:

◆ القول الأول: إنكار وجوده أصلاً! لاعتقادهم بعدم تفضيل اسم من أسماء الله تعالى على آخر، وقد تأول هؤلاء الأحاديث الواردة السابقة فحملوها على وجوه:

١. الوجه الأول: من قال بأن معنى "الأعظم" هو "العظيم" وأنه لا تفاضل بين أسماء الله تعالى.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: "وقد أنكره قوم كأبي جعفر الطبري وأبي الحسن الأشعري وجماعة بعدهما كأبي حاتم بن حبان والقاضي أبي بكر الباقلاني فقالوا: لا يجوز تفضيل بعض الأسماء على بعض، ونسب ذلك بعضهم لمالك؛ لكرهيته أن تعاد سورة أو تردد دون غيرها من السور لئلا يُظن أن بعض القرآن أفضل من بعض فيؤذن ذلك باعتقاد نقصان المفضول عن الأفضل، وحملوا ما ورد من ذلك على أن المراد بالأعظم: العظيم، وأن أسماء الله كلها عظيمة، وعبرة أبي جعفر الطبري: "اختلفت الآثار في تعيين الاسم الأعظم والذي عندي: أن الأقوال كلها صحيحة إذ لم يرد في خبر منها أنه الاسم الأعظم، ولا شيء أعظم منه"، فكأنه يقول: كل اسم من أسمائه تعالى يجوز وصفه بكونه أعظم، فيرجع إلى معنى عظيم كما تقدم." انتهى

٢. الوجه الثاني: أن المراد بالأحاديث السابقة بيان مزيد ثواب من دعا بذلك الاسم.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: "وقال ابن حبان: الأعظمية الواردة في الأخبار: إنما يراد بها مزيد ثواب الداعي بذلك، كما أطلق ذلك في القرآن، والمراد به: مزيد ثواب القارئ." انتهى

٣. الوجه الثالث: أن المراد بالاسم الأعظم حالة يكون عليها الداعي، وهي تشمل كل من دعا الله تعالى بأي اسم من أسمائه، إن كان على تلك الحال.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله: - "وقيل: المراد بالاسم الأعظم: كل اسم من أسماء الله تعالى دعا العبد به مستغرفاً بحيث لا يكون في فكره حائلٌ غير الله تعالى، فإن من تأتى له ذلك: استجيب له، ونقل معنى هذا عن جعفر الصادق، وعن الجنيد، وعن غيرهما." انتهى

◆ القول الثاني: قول من قال بأن الله تعالى قد استأثر بعلم تحديد اسمه الأعظم، وأنه لم يُطلع عليه أحداً من خلقه. قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله- في الفتح: وقال آخرون: استأثر الله تعالى بعلم الاسم الأعظم ولم يُطلع عليه أحداً من خلقه. انتهى

◆ القول الثالث: قول من أثبت وجود اسم الله الأعظم وعيَّنه، وقد اختلف هؤلاء المعينون في الاسم الأعظم على أربعة عشر قولاً! وقد ساقها الحافظ ابن حجر رحمه الله في كتابه "فتح الباري" وهي:

١. هو ! . ٢. الله . ٣. الله الرحمن الرحيم . ٤. الرحمن الرحيم الحي القيوم . ٥. الحي القيوم .
٦. الحنان المنان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام الحي القيوم . ٧. بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام . ٨. ذو الجلال والإكرام . ٩. الله لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . ١٠. رب رب . ١١. دعوة ذي النون في بطن الحوت "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" . ١٢. هو الله الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم . ١٣. هو مخفي في الأسماء الحسنى .
١٤. كلمة التوحيد "لا إله إلا الله".

قال الشيخ الألباني رحمه الله: واعلم أن العلماء اختلفوا في تعيين اسم الله الأعظم على أربعة عشر قولاً، ساقها الحافظ في "الفتح"، وذكر لكل قول دليله، وأكثرها أدلتها من الأحاديث، وبعضها مجرد رأي لا يلتفت إليه، مثل القول الثاني عشر؛ فإن دليله: أن فلاناً سأل الله أن يعلمه الاسم الأعظم، فرأى في النوم؛ هو الله، الله، الله، الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم!!

وتلك الأحاديث منها الصحيح، ولكنه ليس صريح الدلالة، ومنها الموقوف كهذا، ومنها الصريح الدلالة؛ وهو قسمان: قسم صحيح صريح، وهو حديث بريدة: الله لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد... إلخ، وقال الحافظ: "وهو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك"، وهو كما قال رحمه الله، وأقره الشوكاني في "تحفة الذاكرين" (ص

(٥٢)، وهو مخرج في " صحيح أبي داود) " . والقسم الآخر: صريح غير صحيح، بعضه مما صرح الحافظ بضعفه؛ كحديث القول الثالث عن عائشة في ابن ماجه (٣٨٥٩)، وهو في " ضعيف ابن ماجه " رقم (٨٤١)، وبعضه مما سكت عنه فلم يحسن ! كحديث القول الثامن من حديث معاذ بن جبل في الترمذي، وهو مخرج في " الضعيفة " برقم (4520).

وهناك أحاديث أخرى صريحة لم يتعرض الحافظ لذكرها، ولكنها واهية، وهي مخرجة هناك برقم (٢٧٧٢ و ٢٧٧٣ و ٢٧٧٥).

"سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة. (٢٧٩ / ١٣) "

ولعل الأقرب من تلك الأقوال أن الاسم الأعظم هو الله؛ فهو الاسم الجامع لله تعالى الذي يدل على جميع أسمائه وصفاته تعالى، وهو اسم لم يُطلق على أحد غير الله تعالى، وعلى هذا أكثر أهل العلم.

• قال ابن القيم - رحمه الله -: اسم "الله" دالٌّ على جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا بالدلالات الثلاث "

مدارج السالكين. (٣٢ / ١) "

والدلالات الثلاث هي: المطابقة والتضمن وال لزوم.

• وقال أبو البقاء الفتوحى الحنبلى - رحمه الله :-

فائدتان:

١. الأولى: أن اسم "الله" علم للذات، ومختص به، فيعم جميع أسمائه الحسنى.

٢. الثانية: أنه اسم الله الأعظم عند أكثر أهل العلم الذي هو متصف بجميع المحامد. " شرح الكوكب المنير " (ص ٤).

• وقال الشربيني الشافعي - رحمه الله -: وعند المحققين أنه اسم الله الأعظم، وقد ذكر في القرآن العزيز في ألفين

وثلاثمائة وستين موضعاً. " مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج "

ويأتي في الدرجة الثانية من القوة في كونه اسم الله الأعظم "الحي القيوم"، وهو قول طائفة من العلماء، ومنهم النووي، ورجحه الشيخ العثيمين رحمه الله.

وثالثها في القوة هو الواحد الاحد اخذا من حديث بريدة المتقدم ولو دعا الانسان بالوارد في الحديث فهو ارجى في الإجابة.

وتستحب قراءة سورة الإخلاص والكافرون في عدة مواضع منها:

- ١- في ركعتي رغبة الفجر، روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قرأ في ركعتي الفجر قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد.
- ٢- في ركعتي الطواف خلف مقام إبراهيم، روى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم: كان يقرأ في الركعتين قل هو الله أحد، وقل يا أيها الكافرون.
- ٣- في صلاة الوتر، لما رواه أحمد في مسنده، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوتر بثلاث، بسبح اسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد. وصححه الأرنؤوط.
- ٤- في السنة الراتبة للمغرب - وهي البعدية - روى أحمد في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بضعا وعشرين مرة، أو بضع عشرة مرة، قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد. وصححه الأرنؤوط.
- ٥- عند النوم، ففي مسند الإمام أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اقرأ عند منامك قل يا أيها الكافرون، قال: ثم نم على خاتمها، فإنها براءة من الشرك. وحسنه الأرنؤوط. ورواه أبو داود وصححه الألباني. ()

١ - قال ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية: " والتوحيد الذي جاء به الرسول يتناول التوحيد في العلم والقول وهو وصفه بما يوجب أنه في نفسه أحد صمد لا يتبعض ويتفرق فيكون شيئين وهو واحد متصف بصفات تختص به ليس له فيها شبيه ولا كفؤ

والتوحيد في الإدارة والعمل وهو عبادته وحده لا شريك له وقد أنزل الله سورتي الإخلاص {قل يا أيها الكافرون} و {قل هو الله أحد} الواحدة في توحيد العمل ولهذا كان القول فيها {لا أعبد ما تعبدون} وهي جملة إنشائية فعلية

{سبب النزول}

قال القرطبي: "وهي مَكِّيَّةٌ في قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ، والحَسَنِ، وَعَطَاءٍ، وَعِكْرِمَةَ، وجَابِرٍ.(وهو اختيار مقاتل بن سليمان وابن كثير وابن عطية وأبو حيان والزمخشري والثعلبي وهو قول الجمهور وذلك باعتبار سبب النزول انه من سؤال المشركين)

ومَدَنِيَّةٌ في أَحَدِ قَوْلَيْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةَ، والصَّحَّاحِ، والسُّدِّيِّ"(وهو اختيار السمعاني باعتبار سبب النزول انه من سؤال اليهود)

والأخرى في توحيد العلم وهي قوله {قل هو الله أحد} وبهذا كان القول جملة خبرية اسمية والكلام إما إنشاء وإما إخبار فالإخبار يكون عن العلم والإنشاء يكون عن الإرادة ولهذا قال الله تعالى { وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم } وقال { قل إنما يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون } وقال { قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد } وقال { وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون } وقال { وانطلق الملائم منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إلى قوله أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب } وفي القرآن من نفي الألوهية عن غيره من المخلوقات وإثباتها له وحده ما لا يحصى إلا بكلفة كقوله { فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون مع المعذبين } { ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه } { رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذوه وكيلا } { ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لو لا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن أفترى على الله كذبا } { لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا } { فاعلم أنه لا إله إلا هو } { إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون } ونحو ذلك مما يتضمن وحدانيته في الإلهية فلا يجوز أن يكون إله معبود إلا هو .

والإلهية تتضمن استحقاقه للعبادة والدعاء لا أنها بمعنى القدرة على الاختراع كما يذكر ذلك عن الأشعري فإن هذا هو الربوبية التي كان المشركون يقرون بها .

أما سبب نزول سورة (قل هو الله أحد) فقد روى الترمذي ، وأحمد ، والحاكم ، والبيهقي في "الشعب" ، وابن خزيمة في "التوحيد" ، وأبو الشيخ في "العظمة" من طريق أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب : " أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : انْشُبْ لَنَا رَبَّكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ) " ()

قال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه . » ووافقه الذهبي في التلخيص . وقال ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ ١٦٥٩/٣ (٣٧١٤) : « رواه محمد بن ميسر أبو سعد الصاغاني ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، عن أبي . وهذا يرويه عن أبي جعفر غير أبي سعد ، وهو متروك الحديث . » لكن لهذا الحديث شواهد :

-ورواه الطبراني في "الأوسط" (٥٦٨٧) ، والطبري في "تفسيره" (٦٨٧ / ٢٤) ، والبيهقي في "الشعب" (٢٣١٩) ، وأبو نعيم في "الحلية" (٣٣٥/٤) من طريق إسماعيل بن مجالد ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر قال : " قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، انْشُبْ لَنَا رَبَّكَ ، فَنَزَلَتْ : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) " أخرجه أبو يعلى في مسنده ٣٨/٤ (٢٠٤٤) ، وأبو نعيم في الحلية ٣٣٥/٤ ، ١١٣/١٠ - ١١٤ ، والبيهقي في الأسماء والصفات ٣٩/٢ - ٤٠ (٦٠٨) ، وابن جرير ٧٢٨/٢٤ . قال أبو نعيم : « غريب من حديث الشعبي ، تفرد به إسماعيل عن مجالد ، وعنه شريح . » وقال ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ ١١٩٤/٢ (٢٥٤٨) : « رواه إسماعيل بن مجالد ، عن أبيه ، عن الشعبي ، عن جابر . قال : وهذا ما رواه إسماعيل ، عن أبيه ، وإسماعيل أوثق من أبيه . » وقال الذهبي في معجم الشيوخ ٤٠/١ : « هذا حديث غريب من الأفراد . » وقال ابن كثير في تفسيره ٥١٨/٨ عن رواية أبي يعلى : « إسناده مقارب . » وقال الهيثمي في المجمع ١٤٦/٧ (١١٥٤٢) : « رواه

١ - قال ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية : " وأعلم قد اشتهر في التفسير أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ماهية ربه وعن نعته وصفته فانتظر الجواب من الله تعالى فأنزل الله هذه السورة إذا عرفت هذا فنقول هذه السورة يجب أن تكون من المحكمات لا من المتشابهات لأنه تعالى جعلها جوابا عن سؤال السائل وأنزلها عند الحاجة وذلك يقتضي كونها من المحكمات لا من المتشابهات وإذا ثبت هذا وجب الجزم بأن كل مذهب يخالف هذه السورة كان باطلا . "

الطبراني في الأوسط، ورواه أبو يعلى ... وفيه مجالد بن سعيد، قال ابن عدي: له عن الشعبي عن جابر،
وبقية رجاله رجال الصحيح. «وقال السيوطي»: سند حسن. »
وقال البغوي في "تفسيره: (٣٢٩/٥) "

"وقال الضحاك وقتادة ومقاتل: جاء ناس من أحبار اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: صف لنا
ربك يا محمد لعلنا نؤمن بك ، فإن الله أنزل نعته في التوراة ، فأخبرنا من أي شيء هو ؟ وهل يأكل ويشرب
؟ فأنزل الله هذه السورة. "

وكذا أرسله محمد بن عمرو ، كما رواه أبو الحسن السكري في "مشيخته (١٠٤) "
-وأخرج البيهقي في "الأسماء والصفات" (٣٨/٢) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، " أَنَّ الْيَهُودَ، جَاءَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مِنْهُمْ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ وَحُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، صِفْ لَنَا رَبَّكَ الَّذِي بَعَثَكَ ،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هذه السورة. " أخرجه ابن عدي في الكامل ٤١٥/٥ ، والبيهقي في الأسماء والصفات
٣٨/٢-٣٩ (٦٠٦) ، وابن أبي حاتم - كما في مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٢٢/١٧ . - قال ابن القيسراني
في ذخيرة الحفاظ ٦٢٧/٢ (١٠٧٢) : «رواه عبد الله بن عيسى الخزاز أبو خالد، عن داود بن أبي هند،
عن عكرمة، عن ابن عباس. وعبد الله لم يُتابع عليه، وليس بحجة. «وقال ابن عدي عقب الحديث»: وعبد
الله بن عيسى له غير ما ذكرت من الحديث، وهو مضطرب الحديث، وأحاديثه أفراداً كلّها، وتختلف عليه
لاختلافه في رواياته. «وقال ابن حجر في الفتح ٣٥٦/١٣ عن رواية البيهقي: «بسند حسن. » وكذا حسنه
السيوطي في "الدر المنثور" (٦٦٩/٨) ، وكذا الألباني في "صحيح الترمذي".

♦ قال البقاعي: "سُورَةُ الْإِخْلَاصِ وتُسَمَّى الْأَسَاسَ وَالْمُقَشِّشَةَ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ.

مَقْصُودُهَا بَيَانُ الْحَقِيقَةِ الذَّاتِ الْأَقْدَسِ بَيَانِ اخْتِصَاصِهِ بِالْإِتِّصَافِ بِأَقْصَى الْكَمَالِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى صَحِيحِ الْإِعْتِقَادِ
لِلْإِخْلَاصِ فِي التَّوْحِيدِ بِإِثْبَاتِ الْكَمَالِ، وَنَفْيِ الشَّوَابِ النَّقْصِ وَالْإِخْتِلَالِ، الْمُثْمِرِ حُسْنِ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، وَثَبَاتِ اللَّجَاءِ
وَالِاعْتِمَادِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، وَعَلَى ذَلِكَ دَلَّ اسْمُهَا الْإِخْلَاصُ الْمَوْجِبُ لِلْإِخْلَاصِ، وَكَذَا الْأَسَاسُ وَالْمُقَشِّشَةُ، قَالَ فِي

القاموس: الْمُقَشَّقَتَانِ الْكَافِرُونَ وَالْإِخْلَاصُ أَيُّ الْمُبَرِّتَانِ مِنَ التَّفَاقٍ وَالشِّرْكِ كَمَا يُقَشَّقُشُ الْهَنَاءُ الْجَرْبَ، الْهَنَاءُ: الْقُطْرَانُ، وَقَالَ الْإِمَامُ عَبْدُ الْحَقِّ فِي كِتَابِهِ الْوَاعِي: كَمَا يُبْرِئُ الْمَرِيضَ مِنْ عِلَّتِهِ إِذَا بَرِيَ مِنْهَا - انْتَهَى. وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْقَشِّ بِمَعْنَى الْجَمْعِ، فَسَمَّيْنَا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمَا تَتَّبَعْنَا التَّفَاقَ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِ، وَكَذَا الشِّرْكَ وَالْكُفْرَ، فَجَمَعْنَاهُ وَنَفَتَاهُ عَنْ قَارِبَيْهِمَا حَقَّ الْقِرَاءَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى هَذَا الْإِسْمِ مَبْسُوطًا فِي بَرَاءَةِ وَكَذَا اسْمُهَا ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ دَالٌّ عَلَى مَقْصُودِهَا بِتَأْمُلِ جَمِيعِ السُّورَةِ وَمَا دَعَتْ إِلَيْهِ مِنْ مَعَانِي التَّبَرُّةِ الْيَسِيرَةِ الْكَثِيرَةِ، وَهَذِهِ السُّورَةُ أَعْظَمُ مُفِيدٍ لِلتَّوْحِيدِ فِي الْقُرْآنِ".

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

♦ قال ابن جرير: "اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الأمصار ﴿أَحَدُ اللَّهِ الصَّمَدُ﴾ بتنوين "أحد"، سوى نصر بن عاصم، وعبد الله بن أبي إسحاق، فإنه زوي عنهما ترك التنوين: "أَحَدُ اللَّهِ"؛ () وكأن من قرأ ذلك كذلك، قال: نون الإعراب إذا استقبلتها الألف واللام أو ساكن من الحروف حذفت أحياناً، كما قال الشاعر:

كَيْفَ نَوْمِي عَلَى الْفِرَاشِ وَلَكِنَّا ... تَشْمَلُ الشَّامَ غَارَةً شَعْوَاءُ
تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنْ بَيْتِهِ وَتُبْدِي ... عَنْ خِدَامِ الْعَقِيلَةِ الْعَذْرَاءُ
يريد: عن خدام العقيلة.

والصواب في ذلك عندنا: التنوين، لمعنيين: أحدهما أفصح اللغتين، وأشهر الكلامين، وأجودهما عند العرب. والثاني: إجماع الحجة من قراء الأمصار على اختيار التنوين فيه، ففي ذلك مُكْتَفَى عن الاستشهاد على صحته بغيره.

♦ وقال ابن عطية: "و"أَحَدٌ" مَعْنَاهُ: وَاحِدٌ فَرَّدَ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، و"هُوَ" ابْتِدَاءٌ و"اللَّهُ" ابْتِدَاءٌ ثَانٍ وَأَحَدٌ خَبَرُهُ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرُ الْأَوَّلِ، وَقِيلَ: "هُوَ" ابْتِدَاءٌ، و"اللَّهُ" خَبَرُهُ، و"أَحَدٌ" بَدَلٌ مِنْهُ، وَحَذَفَ أَبُو عَمْرٍو التَّنْوِينَ مِنْ "أَحَدٌ" لِإِلْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ فَقَرَأَ "اللَّهُ أَحَدُ اللَّهِ"، وَأَثْبَتَهُ الْبَاقُونَ مَكْسُورًا لِلِإِلْتِقَاءِ، وَأَمَّا وَقَفَهُمْ كُلُّهُمْ فَبِسُكُونِ الدَّالِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي عَمْرٍو الْوَصْلُ بِسُكُونِ الدَّالِ، وَرُوِيَ عَنْهُ أَيْضًا تَنْوِينُهَا.

♦ وقال الشوكاني: "قَرَأَ الْجُمْهُورُ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ بِإِثْبَاتِ قُلْ.

وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَأَبِي "اللَّهُ أَحَدٌ" بِدُونِ قُلْ.

وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ "قُلْ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ" وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ بِتَنْوِينِ أَحَدٌ، وَهُوَ الْأَصْلُ.

١ - وهي لغة ربيعة انهم يتركون التنوين طلباً للتخفيف.

وَقَرَأَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ، وَأَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ، وَابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، وَالْحَسَنُ، وَأَبُو السِّمَّاكِ، وَأَبُو عَمْرٍو فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ بِحَذْفِ التَّنْوِينِ لِلْخِفَّةِ كَمَا فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ :

عَمْرُو الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرَجُلٌ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ

وَقِيلَ إِنَّ تَرَكَ التَّنْوِينَ لِمُلَاقَاتِهِ لَمْ التَّعْرِيفِ، فَيَكُونُ التَّرْكَ لِأَجْلِ الْفِرَارِ مِنَ التِّقَاءِ السَّاكِنِينَ.

وَيُجَابُ عَنْهُ بِأَنَّ الْفِرَارَ مِنَ التِّقَاءِ السَّاكِنِينَ قَدْ حَصَلَ مَعَ التَّنْوِينِ بِتَحْرِيكِ الْأَوَّلِ مِنْهُمَا بِالْكَسْرِ.

وقال الرازي: " فَإِنْ قِيلَ: لِمَاذَا؟ قِيلَ: أَحَدٌ عَلَى النِّكَرَةِ، قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ: فِيهِ وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا: حَذْفُ لَامِ التَّعْرِيفِ عَلَى نَبْئَةِ إِضْمَارِهَا وَالتَّقْدِيرُ قُلْ: هُوَ اللَّهُ الْأَحَدُ.

وَالثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ هُوَ التَّنْكِيرُ عَلَى سَبِيلِ التَّعْظِيمِ.

♦ وقال البغوي: " أَيُّ وَاحِدٍ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْوَاحِدِ وَالْأَحَدِ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ: قُلْ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ".

♦ وقال ابن كثير: " يَعْنِي: هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا وَزِيرَ، وَلَا نَدِيدَ وَلَا شَبِيهَ وَلَا عَدِيلَ، وَلَا يُطْلَقُ هَذَا

الْلَفْظُ عَلَى أَحَدٍ فِي الْإِثْبَاتِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ()، عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّهُ الْكَامِلُ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ".

قال الرازي: " فِي (أَحَدٍ) وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، قَالَ الْحَلِيلُ: يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: أَحَدٌ اثْنَانِ وَأَصْلُ أَحَدٍ وَحَدٌّ إِلَّا أَنَّهُ قُلِبَتْ الْوَاوُ هَمْزَةً لِلتَّخْفِيفِ

وَأَكْثَرُ مَا يَفْعَلُونَ هَذَا بِالْوَاوِ الْمَضْمُونَةِ وَالْمَكْسُورَةِ كَقَوْلِهِمْ: وَجُوهٌ وَأَجُوهٌ، وَسَادَةٌ وَإِسَادَةٌ. ()

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ الْوَاحِدَ وَالْأَحَدَ لَيْسَا اسْمَيْنِ مُتَرَادِفَيْنِ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: لَا يُوصَفُ شَيْءٌ بِالْأَحَدِيَّةِ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُقَالَ:

١ - بخلاف النفي تقول: لا احد في الدار .

والشرط تقول: أي احد يقول كذا فهو مخطئ .

والاستفهام تقول: أي احد يقول ذلك.

لكن في مقام الاثبات لا تقال الا على الله تعالى .

٢ - ويمكن ان يستشهد له ما رواه الترمذي عن أبي هريرة

أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَدْعُو بِإِصْبَعِيهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدٌ أَحَدٌ

قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ إِذَا أَشَارَ الرَّجُلُ بِإِصْبَعِيهِ فِي الدُّعَاءِ عِنْدَ الشَّهَادَةِ

لَا يُشِيرُ إِلَّا بِإِصْبَعٍ وَاحِدَةٍ. ومعنى احد احد أي وحد وحد الله تعالى باشارتك .

رَجُلٌ أَحَدٌ وَلَا دِرْهَمٌ أَحَدٌ كَمَا يُقَالُ: رَجُلٌ وَاحِدٌ أَيْ فَرْدٌ بِهِ بَلْ أَحَدٌ صِفَةٌ مِنَ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى اسْتَأْثَرَ بِهَا فَلَا يُشْرِكُهُ فِيهَا شَيْءٌ ثُمَّ ذَكَرُوا فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْوَاحِدِ وَالْأَحَدِ وَجُوهًا:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْوَاحِدَ يَدْخُلُ فِي الْأَحَدِ، وَالْأَحَدُ لَا يَدْخُلُ فِيهِ.

وِثَانِيهَا: أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: فَلَانٌ لَا يُقَاوِمُهُ وَاحِدٌ، جَازَ أَنْ يُقَالَ: لَكِنَّهُ يُقَاوِمُهُ اثْنَانِ بِخِلَافِ الْأَحَدِ، فَإِنَّكَ لَوْ قُلْتَ: فَلَانٌ لَا يُقَاوِمُهُ أَحَدٌ، لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: لَكِنَّهُ يُقَاوِمُهُ اثْنَانِ.

وِثَالِثُهَا: أَنَّ الْوَاحِدَ يُسْتَعْمَلُ فِي الْإِثْبَاتِ، وَالْأَحَدُ فِي النَّفْيِ، تَقُولُ فِي الْإِثْبَاتِ رَأَيْتُ رَجُلًا وَاحِدًا، وَتَقُولُ فِي النَّفْيِ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا، فَيُفِيدُ الْعُمُومَ". (فالأحد ابلغ من الواحد من جهة العموم).

♦ وقال الشوكاني: " قَالَ الرَّجَّاحُ: هُوَ كِنَايَةٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَالْمَعْنَى: إِنْ سَأَلْتُمْ تَبَيَّنَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ قِيلَ. وَهَمْزَةُ أَحَدٍ بَدَلٌ مِنَ الْوَاحِدِ وَأَصْلُهُ وَاحِدٌ.

وَقَالَ أَبُو الْبَقَاءِ.

هَمْزَةُ أَحَدٍ أَصْلٌ بِنَفْسِهَا غَيْرُ مَقْلُوبَةٍ، وَذَكَرَ أَنَّ " أَحَدٌ " يُفِيدُ الْعُمُومَ دُونَ وَاحِدٍ.

وَمِمَّا يُفِيدُ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا مَا قَالَهُ الْأَزْهَرِيُّ: أَنَّهُ لَا يُوصَفُ بِالْأَحَدِيَّةِ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا يُقَالُ رَجُلٌ أَحَدٌ وَلَا دِرْهَمٌ أَحَدٌ، كَمَا يُقَالُ رَجُلٌ وَاحِدٌ وَدِرْهَمٌ وَاحِدٌ.

قِيلَ وَالْوَاحِدُ يَدْخُلُ فِي الْأَحَدِ وَالْأَحَدُ لَا يَدْخُلُ فِيهِ فَإِذَا قُلْتَ لَا يُقَاوِمُهُ وَاحِدٌ جَازَ أَنْ يُقَالَ لَكِنَّهُ يُقَاوِمُهُ اثْنَانِ بِخِلَافِ قَوْلِكَ لَا يُقَاوِمُهُ أَحَدٌ.

وَفَرَّقَ ثَعْلَبٌ بَيْنَ وَاحِدٍ وَبَيْنَ أَحَدٍ بِأَنَّ الْوَاحِدَ يَدْخُلُ فِي الْعَدَدِ، وَأَحَدٌ لَا يَدْخُلُ فِيهِ^١.

وَرَدَّ عَلَيْهِ أَبُو حَيَّانَ بِأَنَّهُ يُقَالُ أَحَدٌ وَعِشْرُونَ وَنَحْوُهُ فَقَدْ دَخَلَ الْعَدَدُ، وَهَذَا كَمَا تَرَى، وَمِنْ جُمْلَةِ الْقَائِلِينَ بِالْقَلْبِ الْحَلِيلُ".

وقوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾

♦ قال ابن الجوزي: " وَفِي ﴿الصَّمَدُ﴾ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ.

أَحَدُهَا: أَنَّهُ السَّيِّدُ الَّذِي يُصَمَدُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ، رَوَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ

^١ - نظر ثعلب الى الاسم باعتبار انه من الأسماء الحسنى ونظر الآخرون الى ان اللفظ في ذاته مشترك فيجوز ان يجمع

فتقول في الشهر أربعة آحاد يعني يوم الأحد .

عَبَّاسٍ قَالَ: الصَّمَدُ: السَّيِّدُ الَّذِي قَدْ كُمِلَ فِي سُؤْدُدِهِ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ أَحَدٌ. وَالْعَرَبُ تُسَمِّي أَشْرَافَهَا: الصَّمَدَ. قَالَ الْأَسَدِيُّ :

لَقَدْ بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرِي بَنِي أَسَدٍ بِعَمْرٍو بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ وَقَالَ الرَّجَّاجُ: هُوَ الَّذِي يَنْتَهِي إِلَيْهِ السُّؤْدُدُ، فَقَدْ صَمَدَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ قَصْدَ قَصْدِهِ. وَتَأْوِيلُ صُمُودٍ كُلِّ شَيْءٍ لَهُ: أَنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ أَثَرَ صُنْعِهِ، وَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: لَا خِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنَّ الصَّمَدَ: السَّيِّدَ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ أَحَدٌ يَصُمَدُ إِلَيْهِ النَّاسُ فِي أُمُورِهِمْ وَحَوَائِجِهِمْ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ لَا جَوْفَ لَهُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَمُجَاهِدٌ، وَابْنُ جُبَيْرٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَالصَّحَّاحُ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ. وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: فَكَانَ الدَّالُّ مِنْ هَذَا التَّفْسِيرِ مُبْدَلَةً مِنْ تَاءٍ: وَالْمُصَمَّتُ مِنْ هَذَا. وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ الدَّائِمُ.

وَالرَّابِعُ: الْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ الْخَلْقِ، حَكَاهُمَا الْخَطَّابِيُّ وَقَالَ: أَصَحُّ الْوُجُوهِ الْأَوَّلُ، لِأَنَّ الْإِشْتِقَاقَ يَشْهَدُ لَهُ، فَإِنَّ أَصْلَ الصَّمَدِ: الْقَصْدُ. يُقَالُ: اصْمَدَ صَمَدٌ فَلَانٍ، أَي: أَقْصَدَ قَصْدَهُ. فَالصَّمَدُ: السَّيِّدُ الَّذِي يُصَمَدُ إِلَيْهِ فِي الْأُمُورِ، وَيُقَصَّدُ فِي الْحَوَائِجِ.

♦ وقال ابن جرير: "يقول تعالى ذكره: المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له الصمد.

واختلف أهل التأويل في معنى الصمد، فقال بعضهم: هو الذي ليس بأجوف، ولا يأكل ولا يشرب .

..وقال آخرون: هو الذي لم يلد ولم يولد * .

...وقال آخرون: قد انتهى سُؤْدُدُهُ

.وقال آخرون: بل هو الباقي الذي لا يفنى .

(ثم روى) عن قتادة، في قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ قال: كان الحسن وقاتادة يقولان: الباقي

بعد خلقه، قال: هذه سورة خالصة، ليس فيها ذكر شيء من أمر الدنيا والآخرة.

..(وعنه) قال: ﴿الصمد﴾: الدائم.

قال أبو جعفر: الصمد عند العرب: هو السيد الذي يُصمد إليه، الذي لا أحد فوقه، وكذلك تسمى أشرافها؛ ومنه قول الشاعر:

أَلَا بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرِي بَنِي أَسَدٍ ... بِعَمْرٍو بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ

وقال الربرقان:

وَلَا رَهِينَةً إِلَّا سَيِّدٌ صَمَدٌ

فإذا كان ذلك كذلك، فالذي هو أولى بتأويل الكلمة، المعنى المعروف من كلام من نزل القرآن بلسانه ()؛ ولو كان حديث ابن بريدة، عن أبيه صحيحا، كان أولى الأقوال بالصحة، لأن رسول الله ﷺ أعلم بما عني الله جل ثناؤه، وبما أنزل عليه.

♦ وقال ابن كثير: " وَقَوْلُهُ: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ قَالَ عِكْرِمَةُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَعْنِي الَّذِي يَصْنَعُ الْخَلَائِقَ إِلَيْهِ فِي حَوَائِجِهِمْ وَمَسَائِلِهِمْ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي سُؤْدُدِهِ، وَالشَّرِيفُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي شَرَفِهِ، وَالْعَظِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عَظَمَتِهِ، وَالْحَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِلْمِهِ، وَالْعَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عِلْمِهِ، وَالْحَكِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِكْمَتِهِ وَهُوَ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي أَنْوَاعِ الشَّرَفِ وَالسُّؤْدُدِ، وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، هَذِهِ صِفَتُهُ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لَهُ، لَيْسَ لَهُ كُفٌّ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.

وَقَالَ الْأَعْمَشُ، عَنْ شَقِيقٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ: ﴿الصَّمَدُ﴾ السَّيِّدُ الَّذِي قَدْ انْتَهَى سُؤْدُدُهُ، وَرَوَاهُ عَاصِمٌ، بْنُ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، مِثْلَهُ.

وَقَالَ مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: ﴿الصَّمَدُ﴾ السَّيِّدُ. وَقَالَ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ: هُوَ الْبَاقِي بَعْدَ خَلْقِهِ. وَقَالَ الْحَسَنُ أَيْضًا:

﴿الصَّمَدُ﴾ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الَّذِي لَا زَوَالَ لَهُ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: ﴿الصَّمَدُ﴾ الَّذِي لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَا يُطْعَمُ.

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: هُوَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. كَأَنَّهُ جَعَلَ مَا بَعْدَهُ تَفْسِيرًا لَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ وَهُوَ تَفْسِيرٌ جَيِّدٌ. وَقَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مِنْ رَوَايَةِ ابْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ فِي ذَلِكَ، وَهُوَ صَرِيحٌ فِيهِ.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَمُجَاهِدٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، وَعِكْرِمَةُ أَيْضًا، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَعَطَاءُ بْنُ أَبِي رِبَاحٍ، وَعَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ، وَالضَّحَّاكُ، وَالسُّدِّيُّ: ﴿الصَّمَدُ﴾ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ.

قَالَ سُفْيَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿الصَّمَدُ﴾ الْمُصْنَعُ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ.

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: هُوَ الَّذِي لَا يَأْكُلُ الطَّعَامَ، وَلَا يَشْرَبُ الشَّرَابَ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ أَيْضًا: ﴿الصَّمَدُ﴾ نُورٌ يَتَلَأَلُ.

رَوَى ذَلِكَ كُلَّهُ وَحَكَاهُ: ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنُ بَهَقَيْهِ وَالطَّبْرَايُ، وَكَذَا أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ جَرِيرٍ سَاقَ أَكْثَرَ ذَلِكَ بِأَسَانِيدِهِ، وَقَالَ:

١ - فان الفاظ الشارع تفسر بالمعنى الشرعي ان وجد فان لم يوجد فالمعنى العرفي في عرف المخاطبين بالقرآن والا فالمعنى اللغوي والصمد ليس له معنى شرعي مختص به ولا معنى عرفي خاص فيفسر بالمعنى اللغوي وهو السيد الذي يصمد إليه، الذي لا أحد فوقه .

حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ رُومِيٍّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ قَائِدِ الْأَعْمَشِ، حَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ حَيَّانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ - لَا أَعْلَمُ إِلَّا قَدْ رَفَعَهُ - قَالَ: ﴿الصَّمَدُ﴾ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ. وَهَذَا غَرِيبٌ جِدًّا، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ.

وَقَدْ قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبْرَائِيُّ فِي كِتَابِ السُّنَّةِ لَهُ، بَعْدَ إِيرَادِهِ كَثِيرًا مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ فِي تَفْسِيرِ "الصَّمَدِ": وَكُلُّ هَذِهِ صَحِيحَةٌ، وَهِيَ صِفَاتُ رَبِّنَا، عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ الَّذِي يُصَمَدُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ، وَهُوَ الَّذِي قَدْ انْتَهَى سُؤْدُودُهُ، وَهُوَ الصَّمَدُ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ، وَلَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ، وَهُوَ الْبَاقِي بَعْدَ خَلْقِهِ. وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ نَحْوَ ذَلِكَ [أَيْضًا].

♦ وقال القرطبي: " { الله الصَّمَدُ } أَيُّ الَّذِي يُصَمَدُ إِلَيْهِ فِي الْحَاجَاتِ. كَذَا رَوَى الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: الَّذِي يُصَمَدُ إِلَيْهِ فِي الْحَاجَاتِ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: { ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ } [النحل: ٥٣].

قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: الصَّمَدُ: السَّيِّدُ الَّذِي يُصَمَدُ إِلَيْهِ فِي النَّوَازِلِ وَالْحَوَائِجِ. .. وَقَالَ قَوْمٌ: الصَّمَدُ: الدَّائِمُ الْبَاقِي، الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ. وَقِيلَ: تَفْسِيرُهُ مَا بَعْدَهُ { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ }.

قَالَ أَيُّ بْنُ كَعْبٍ: الصَّمَدُ: الَّذِي لَا يَلِدُ وَلَا يُولَدُ، لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ إِلَّا سَيَمُوتُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يَمُوتُ إِلَّا يُورَثُ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا وَأَبُو وَائِلٍ شَقِيقُ بْنُ سَلَمَةَ وَسُفْيَانُ: الصَّمَدُ: هو السيد الذي قد انتهى سودده في أنواع الشرف والسودد، .. مِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

عَلَوْتُهِ بِحُسَامٍ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ ... خُذْهَا خُذَيْفُ () فَأَنْتَ السَّيِّدُ الصَّمَدُ^١
وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنَّهُ الْمُسْتَعْنِي عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَالْمُحْتَاجُ إِلَيْهِ كُلِّ أَحَدٍ.
وَقَالَ السُّدِّيُّ: إِنَّهُ: الْمَقْصُودُ فِي الرِّغَائِبِ، وَالْمُسْتَعَانُ بِهِ فِي الْمَصَائِبِ.
وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ: إِنَّهُ: الَّذِي يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ.
وَقَالَ مُقَاتِلٌ: إِنَّهُ: الْكَامِلُ الَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ، ..

١ - يعني يا حذيفة وهذا ترخيم معروف عند العرب حتى في الاحاديث النبوية فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا يَا عَائِشَ هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ فَقُلْتُ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ تَرَى مَا لَا أَرَى تُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ."

ويجوز في الرفع على انه منادى ويجوز الفتح على انتظار الحذف.

وَقَالَ الْحَسَنُ وَعِزُّكَ وَالصَّحَّاحُ وَابْنُ جُبَيْرٍ: الصَّمَدُ: الْمُصَمَّتُ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ (١)
.. قُلْتُ: قَدْ أَتَيْنَا عَلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ مُبَيَّنَةً فِي الصَّمَدِ، فِي (كِتَابِ الْأَسْنَى) وَأَنَّ الصَّحِيحَ مِنْهَا. مَا شَهِدَ لَهُ الْإِشْتِقَاقُ،
وَهُوَ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ، ذَكَرَهُ الْخَطَّابِيُّ (يَعْنِي: الَّذِي يُصَمَّدُ إِلَيْهِ فِي الْحَاجَاتِ)".

♦ وقال الطاهر بن عاشور: "وَمَعْنَاهُ: الْمُفْتَقِرُ إِلَيْهِ كُلُّ مَا عَدَاهُ، فَاِلْمَعْدُومُ مُفْتَقِرٌ وَجُودُهُ إِلَيْهِ وَالْمَوْجُودُ مُفْتَقِرٌ فِي شُؤْنِهِ إِلَيْهِ.
وَقَدْ كَثُرَتْ عِبَارَاتُ الْمُفَسِّرِينَ مِنَ السَّلَفِ فِي مَعْنَى الصَّمَدِ، وَكُلُّهَا مُنْدرِجَةٌ تَحْتَ هَذَا الْمَعْنَى الْجَامِعِ".
♦ وقال الشوكاني: "وَتَكْرِيرُ الْأِسْمِ الْجَلِيلِ لِلْإِشْعَارِ بِأَنَّ مَنْ لَمْ يَتَّصِفْ بِذَلِكَ فَهُوَ بِمَعْرِزٍ عَنِ اسْتِحْقَاقِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَخُذِفَ
الْعَاطِفُ مِنْ هَذِهِ الْجُمْلَةِ لِأَنَّهَا كَالنَّيْجَةِ لِلْجُمْلَةِ الْأُولَى".

♦ وقال ابن تيمية في الجواب الصحيح: "فالصمد اسم يتضمن إثبات صفات الكمال ونفي النقائص وهو العليم
الکامل في علمه التقدير الكامل في قدرته الحكيم الكامل في حكمته.

ولنا مصنف مبسوط في تفسير هذه السورة وآخر في بيان أنها تعادل ثلث القرآن وذكرنا كلام علماء المسلمين من
الصحابة والتابعين في معنى الصمد وأن عامة ما قالوه حق كقول من قال منهم إن الصمد الذي لا جوف له ومن قال
منهم إنه السيد الذي انتهى سؤدده كما قيل إنه المستغني عن كل ما سواه وكل ما سواه محتاج إليه وكما قيل إنه العليم
الکامل في علمه والتقدير الكامل في قدرته إلى سائر صفات الكمال".

♦ وقال في رسالة تفسير سورة الاخلاص: "وَالِاسْمُ " الصَّمَدُ " فِيهِ لِّلْسَلَفِ أَقْوَالٌ مُتَعَدِّدَةٌ قَدْ يُظَنُّ أَنَّهَا مُخْتَلِفَةٌ ؛ وَلَيْسَ
كَذَلِكَ ؛ بَلْ كُلُّهَا صَوَابٌ . وَالْمَشْهُورُ مِنْهَا قَوْلَانِ :
أَحَدُهُمَا : أَنَّ الصَّمَدَ هُوَ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ .

وَالثَّانِي : أَنَّهُ السَّيِّدُ الَّذِي يُصَمَّدُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ وَالْأَوَّلُ هُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَطَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ
اللُّغَةِ .

وَالثَّانِي قَوْلُ طَائِفَةٍ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ وَجُمْهُورِ اللُّغَوِيِّينَ".

١ - قال الشوكاني: " وهذا لا يُنَافِي الْقَوْلَ الْأَوَّلَ لِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ هَذَا أَصْلَ مَعْنَى الصَّمَدِ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي السَّيِّدِ الْمَصْمُودِ
إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ، وَهَذَا أَطْبَقَ عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ أَهْلُ اللُّغَةِ وَجُمْهُورُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ".

♦ وقال في التدمرية : " وكل من يحتاج إلى من يحمله أو يعينه على قيام ذاته وأفعاله فهو مفتقر إليه ليس مستغنيا عنه بنفسه فكيف من يأكل ويشرب والأكـل والشارب أجوف والمصمت الصمد أكمل من الأكـل والشارب ولهذا كانت الملائكة صمدا لا تأكل ولا تشرب وقد تقدم أن كل كمال ثبت لمخلوق فالخالق أولى به وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أولى بتنزيهه عن ذلك والسمع قد نفى ذلك في غير موضع كقوله تعالى : { الله الصمد } والصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب وهذه السورة قي نسب الرحمن أو قي الأصل في هذا الباب وقال في حق المسيح وأمه : { ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام } فجعل ذلك دليلا على نعي الأوقية فدل على تنزيهه عن ذلك بطريق الأول والأحرى والكبد والطحال ونحو ذلك : هي أعضاء الأكل والشرب فالغني المنزه عن ذلك : منزه عن آلات ذلك بخلاف اليد فإنها للعمل والفعل وهو سبحانه موصوف بالعمل والفعل إذ ذاك من صفات الكمال فمن يقدر أن يفعل أكمل ممن لا يقدر على الفعل .

♦ وقال في مجموع الفتاوى نافيا استلزام اثبات الصفات على الوجه اللائق به سبحانه تشبيه الخالق بالمخلوق : " قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَخَلْقٌ مِنَ السَّلَفِ : " الصَّمَدُ " الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ . وَقَالَ آخَرُونَ : هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي كَمُلَ فِي سُؤْدُدِهِ وَكَلاَ الْقَوْلَيْنِ حَقٌّ ؛ فَإِنْ لَفِظَ " الصَّمَدُ " فِي اللُّغَةِ يَتَنَاوَلُ هَذَا وَهَذَا وَالصَّمَدُ فِي اللُّغَةِ السَّيِّدُ ؛ " وَالصَّمَدُ " أَيْضًا الْمَصْمَدُ وَالْمُصَمَّدُ وَكِلَاهُمَا مَعْرُوفٌ فِي اللُّغَةِ .

ولهذا قال يحيى بن أبي كثير : الْمَلَائِكَةُ صَمَدٌ وَالْأَدَمِيُّونَ جَوْفٌ . وَهَذَا أَيْضًا دَلِيلٌ آخَرٌ ؛ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَتْ الْمَلَائِكَةُ - وَهُمْ مَخْلُوقُونَ مِنَ النُّورِ كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ " { خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ نَارٍ ؛ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ } " فَإِذَا كَانُوا مَخْلُوقِينَ مِنْ نُورٍ ؛ وَهُمْ لَا يَأْكُلُونَ وَلَا يَشْرَبُونَ ؛ بَلْ هُمْ صَمَدٌ لَيْسُوا جَوْفًا كَالْإِنْسَانِ وَهُمْ يَتَكَلَّمُونَ وَيَسْمَعُونَ وَيُبْصِرُونَ وَيَصْعَدُونَ وَيَنْزِلُونَ كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ بِالنُّصُوصِ الصَّحِيحَةِ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا تُمَاتِلُ صِفَاتِهِمْ وَأَفْعَالُهُمْ صِفَاتِ الْإِنْسَانِ وَفِعْلُهُ ؛ فَالْخَالِقُ تَعَالَى أَعْظَمُ مُبَايَنَةً لِمَخْلُوقَاتِهِ مِنْ مُبَايَنَةِ الْمَلَائِكَةِ لِلْأَدَمِيِّينَ ؛ فَإِنَّ كِلَيْهِمَا مَخْلُوقٌ . وَالْمَخْلُوقُ أَقْرَبُ إِلَى مُشَابَهَةِ الْمَخْلُوقِ مِنَ الْمَخْلُوقِ إِلَى الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . وَكَذَلِكَ " رُوحُ ابْنِ آدَمَ " تَسْمَعُ وَتُبْصِرُ وَتَتَكَلَّمُ وَتَنْزِلُ وَتَصْعَدُ كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ بِالنُّصُوصِ الصَّحِيحَةِ وَالْمَعْقُولَاتِ الصَّرِيحَةِ وَمَعَ ذَلِكَ فَلَيْسَتْ صِفَاتُهَا وَأَفْعَالُهَا كَصِفَاتِ الْبَدَنِ وَأَفْعَالِهِ . فَإِذَا لَمْ يَجْزُ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ صِفَاتِ الرُّوحِ وَأَفْعَالَهَا مِثْلُ صِفَاتِ الْجِسْمِ الَّذِي هُوَ الْجَسَدُ وَهِيَ مَقْرُونَةٌ بِهِ وَهُمَا جَمِيعًا الْإِنْسَانُ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ رُوحُ الْإِنْسَانِ مُثَالًا لِلْجِسْمِ الَّذِي هُوَ بَدَنُهُ ؛ فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَصِفَاتُهُ وَأَفْعَالُهُ مِثْلَ الْجِسْمِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ ؟! "

قَوْلُهُ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

♦ قال ابن جرير: " وقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾

يقول: ليس بفانٍ، لأنه لا شيء يلد إلا هو فانٍ بائد (وهو تفسير باللازم ان من يلد يورث بعد حين وهو لا ينفي المعنى الظاهر)

﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ يقول: وليس بمحدث لم يكن فكان، لأن كل مولود فإنما وجد بعد أن لم يكن، وحدث بعد أن كان غير موجود، ولكنه تعالى ذكره قديم لم يزل، ودائم لم يبد، ولا يزول ولا يفنى.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: ولم يكن له شبيه ولا مثل * .

.. عن أبي العالية: لم يكن له شبيه، ولا عدل، وليس كمثل شيء.

.. (و) عن كعب، قال: إن الله تعالى ذكره أسس السموات السبع، والأرضين السبع، على هذه السورة ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ وإن الله لم يكافئه أحد من خلقه.

* (و) عن ابن عباس قال: ليس كمثل شيء، فسبحان الله الواحد القهار.

* و.. عن ابن جريج ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا﴾: مثل.

وقال آخرون: معنى ذلك، أنه لم يكن له صاحبة

(و) عن مجاهد، قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ قال: صاحبة.

.. والكُفُوُ والكُفَى والكِفَاء في كلام العرب واحد، وهو المثل والشَّبه؛ ومنه قول نابغة بني ذبيان:

لَا تَقْدِفِي بِرُكْنٍ لَا كِفَاءَ لَهُ ... وَلَوْ تَأْتَفَكَ الْأَعْدَاءُ بِالرِّفْدِ

يعني: لا كِفَاءَ له: لا مثل له.

واختلف القراء في قراءة قوله: ﴿كُفُوا﴾. فقرأ ذلك عامة قراء البصرة: ﴿كُفُوا﴾ بضم الكاف والفاء. وقرأه بعض قراء

الكوفة بتسكين الفاء وهمزها "كُفْنَا".

والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان، ولغتان مشهورتان، فبأَيَّتِهِنَّمَا قرأ القارئ فمصيب.

♦ وقال ابن كثير: " وَقَوْلُهُ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ () أَي: لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ وَلَا صَاحِبَةٌ. قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ يَعْنِي: لَا صَاحِبَةٌ لَهُ.

وَهَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أُنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠١] أَي: هُوَ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقُهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ نَظِيرٌ يُسَامِيهِ، أَوْ قَرِيبٌ يُدَانِيهِ، تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَاذُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٨ - ٩٥] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٧] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٥٨، ١٥٩] وَفِي الصَّحِيحِ -صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ-: "لَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى سَمْعِهِ مِنَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا، وَهُوَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ".

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الرِّثَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "قَالَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ. وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا. وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ."

وَرَوَاهُ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، مَرْفُوعًا بِمِثْلِهِ. تَفَرَّدَ بِهِمَا مِنْ هَذَيْنِ الْوُجْهَيْنِ.

وقال القرطبي: " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمْ يَلِدْ كَمَا وَلَدَتْ مَرْيَمُ، وَلَمْ يُولَدْ كَمَا وَلَدَ عِيسَى وَعَزْرِيْرٌ. وَهُوَ رَدٌّ عَلَى النَّصَارَى، وَعَلَى مَنْ قَالَ: عَزْرِيْرٌ ابْنُ اللَّهِ.

{وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} أَي لَمْ يَكُنْ لَهُ مِثْلًا أَحَدٌ. وفيه تقدم وتأخير، تَقْدِيرُهُ: وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَدَّمَ خَبَرَ كَانَ عَلَى اسْمِهَا، لِيَنْسَاقَ أَوَاخِرُ الْآيِ عَلَى نِظْمٍ وَاحِدٍ."

وقال العدوي: " تفسير قوله تعالى: (ولم يولد)

١ - قدم قوله تعالى {لم يلد} لان هناك من قال ان المسيح ابن الله وان عزيزاً ابن الله وان الملائكة بنات الله تعالى الله عما يقولون ولم يزعم احد انه من اولد الله تعالى.

{ وَلَمْ يُولَدْ } [الإخلاص: ٣]: هذه أيضاً تفارق بها النصارى الذين يقولون: إن عيسى هو الله، وهذا من العجب! إذ يقولون: إن عيسى هو الله وقد ولدته مريم! فمن هو الله قبل أن تخلق مريم؟! وأين كان الله قبل أن تخلق مريم إذا قالوا: إن عيسى هو الله! ويُجاب عليهم: إذا كان هذا هو الرب، فقبل أن يولد من الذي كان يدبر أمر السماء والأرض؟! وقبل أن تولد مريم، فضلاً عن عيسى ولدها؟! من الذي كان يدير السماوات والأرض ويدبر أمرها؟! وهل بطن امرأة مليء بالدم وقد حوت جوانبها العذرة؟ هل بطن هذه المرأة يسع إلهاً يحكم السماوات والأرض؟! تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً! وأما أضل خلق الله فهم الهنود الكفرة الذين يقولون: إن إلههم هو العجل والبقرة.

{ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ } [الإخلاص: ٣] أي: لم يكن له قريب، لا أخ، ولا ابن عم، ولا ابن خال، ولا عم، ولا خال.

♦ وقال ابن القيم في بدائع الفوائد في كلامه عن صفات الله تعالى وقواعد اسمائه: "وأما صفات السلب المحض فلا تدخل في أوصافه تعالى إلا أن تكون متضمنة لثبوت كالأحد المتضمن لانفراده بالربوبية والإلهية. والسلام المتضمن لبراءته من كل نقص يضاد كماله، وكذلك الإخبار عنه بالسلوب هو لتضمنها ثبوتاً كقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ فإنه متضمن لكمال حياته وقيوميته. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ متضمن لكمال قدرته. وكذلك قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ متضمن لكمال علمه. وكذلك قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ متضمن لكمال صمديته وغناه. وكذلك قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ متضمن لتفرد بكماله وأنه لا نظير له. وكذلك قوله تعالى { لا تدركه الأبصار } [الأنعام ١٠٣] متضمن لعظمته وأنه جل عن أن يدرك بحيث يحاط به وهذا مطرد في كل ما وصف به نفسه من السلوب."

وقال في إغاثة اللهفان: "وأهل السنة يقولون: إن تنزيهه سبحانه عن العيوب والنقائص واجب لذاته، كما أن إثبات صفات الكمال والحمد واجب له لذاته، وهو أظهر في العقول والفطر وجميع الكتب الإلهية وأقوال الرسل من كل شيء. ومن العجب أن هؤلاء جاءوا إلى ما علم بالاضطرار أن الرسل جاءوا به، ووصفوا الله سبحانه به، ودلت عليه العقول والفطر والبراهين، فنفوه، وقالوا: إثباته يستلزم التجسيم والتشبيه، فلم يثبت لهم قدم البتة، فيما يثبتونه له سبحانه،

وينفونه عنه. وجاءوا إلى ما علم بالاضطرار والفطر والعقول، وجميع الكتب الإلهية من تنزيه الله سبحانه عن كل نقص وعيب، فقالوا: ليس في أدلة العقل ما ينفيه، وإنما ننفيه بما ننفي به التشبيه.

وليس في الخذلان فوق هذا، بل إثبات هذه العيوب والنقائص يضاد كماله المقدس وهو سبحانه موصوف بما يضادها وينافيه من كل وجه، ونفيها أظهر وأبين في العقول من نفي التشبيه، فلا يجوز أن يثبت له على وجه لا يشابه فيه خلقه. والمقصود: أنه لم يكن في الأمم من مثله بخلقه، وجعل المخلوق أصلاً ثم شبهه به، وإنما كان التمثيل والتشبيه في الأمم، حيث شبهوا أوثانهم ومعبوديتهم به في الإلهية، وهذا التشبيه هو أصل عبادة الأصنام، فأعرض عنه وعن بيان بطلانه أهل الكلام، صرفوا العناية إلى إنكار تشبيهه بالخلق الذي لم تعرف أمة من الأمم عليه، وبالغوا فيه حتى نفوا به عنه صفات الكمال.

ولهذا موضع مهم نافع جداً، به يعرف الفرق بين ما نزه الرب سبحانه نفسه عنه، وذم به المشركين المشبهين العادلين به خلقه، وبين ما ينفيه الجهمية المعطلة من صفات كماله، ويزعمون أن القرآن دل عليه وأريد به نفيه. والقرآن مملوء من إبطال أن يكون في المخلوقات ما يشبه الرب تعالى أو يماثله، فهذا هو الذي قصد بالقرآن، إبطالا لما عليه المشركون والمشبهون العادلون بالله تعالى غيره.

قال تعالى: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢٢]

وقال: {وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ} [البقرة: ١٦٥].

فهؤلاء جعلوا المخلوق مثلاً للخالق. فالند: الشبه. يقال فلان ند فلان، ونديده أى مثله وشبهه، ومنه قول حسان بن ثابت:

أَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِنْدٍ... فَشَرُّكُمْ خَيْرُكُمْ أَلْفِدَاءٍ

ومنه قول النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - لمن قال له ما شاء الله وشئت: "أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نَدًا" وقال جرير:

أَتَيْمًا تَجْعَلُونَ إِلَى نِدَا؟... وَمَا تَيْمٌ لِدَى حَسَبٍ نَدِيدُ

قال ابن مسعود، وابن عباس: "لا تجعلوا لله أكفاء من الرجال، تطيعونهم في معصية الله".

وقال ابن زيد: "الأنداد الآلهة التي جعلوها معه".

وقال الزجاج: "أى لا تجعلوا لله أمثالا".

فالذى أنكره الله سبحانه عليهم: هو تشبيه المخلوق به، حتى جعلوه نداً لله تعالى، يعبدونه كما يعبدون الله، وكذلك قوله في الآية الأخرى: {وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ} [البقرة: ١٦٥] فأنكر هذا التشبيه عليهم، وهو أصل عبادة الأصنام.

ونظيرُ هذا قوله سبحانه: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} [الأنعام: ١] .

أى يعدلون به غيره، فيجعلون له من خلقه عدلاً وشبهاً.

قال ابن عباس: يريد عدلوا بى من خلقى الحجارة والأصنام، بعد أن أقروا بنعمتى وربوبيتى.

وقال الزجاج: أعلم الله سبحانه أنه خالق ما ذكر فى هذه الآية. وأن خالقها لا شيء مثله، وأعلم أن الكفار يجعلون له عديلاً. والعدل التسوية، يقال: عدل الشيء بالشيء إذا سواه به، ومعنى يعدلون به: يشركون به غيره.

قال مجاهد قال الأحمر: يقال: عدل الكافر بربه عدلاً، وعدولاً: إذا سوى به غيره فعبده.

وقال الكسائى: عدلت الشيء بالشيء أعدله عدولاً إذا ساوته به.

ومثله قوله تعالى عن هؤلاء المشبهين إنهم يقولون فى النار لأهلهم: {تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: ٩٧ - ٩٨] .

فاعترفوا أنهم كانوا فى أعظم الضلال وأبينه، إذ جعلوا لله شبيهاً وعدلاً من خلقه سووهم به فى العبادة والتعظيم.

وقال تعالى: {رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ، هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [مريم: ٦٥] .

قال ابن عباس: "شبيهاً ومثلاً، وهو من يساميه".

وذلك نفى عن المخلوق أن يكون مشابهاً للخالق، وممثلاً له، بحيث يستحق العبادة والتعظيم، ولم يقل سبحانه: هل تعلمه سمياً، أو مشبهاً لغيره، فإن هذا لم يقله أحد. بل المشركون المشبهون جعلوا بعض المخلوقات مشابهاً له، مسامياً، ونداً وعدلاً، فأنكر عليهم هذا التشبيه والتمثيل.

وكذلك قوله: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئاً وَلَا يَسْتَطِيعُونَ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ} [النحل: ٧٣ - ٧٤] .

فنهاهم أن يضربوا له مثلاً من خلقه، ولم ينههم أن يضربوه هو مثلاً لخلقهم فإن هذا لم يقله أحد، ولم يكونوا يفعلونه. فإن الله سبحانه أجل وأعظم وأكبر من كل شيء فى فطر الناس كلهم. ولكن المشبهون المشركون يغفلون فيمن يعظمونه.

فيشبهونهم بالخالق، والله تعالى أجل فى صدور جميع الخلق من أن يجعلوا غيره أصلاً ثم يشبهونه سبحانه بغيره.

فالذى يشبهه بغيره، إن قصد تعظيمه، لم يكن فى هذا تعظيم، لأنه مثل أعظم العظماء بما هو دونه، بل بما ليس بينه نسبة وشبه فى العظمة والجلالة، وعاقلاً لا يفعل هذا.

وإن قصد التنقيص شبهه بالناقصين المذمومين، لا بالكاملين الممدوحين.

ومن هنا يعلم أن إثبات صفات الكمال له لا يتضمن التشبيه والتمثيل، لا بالكاملين ولا بالناقصين وأن نفى تلك الصفات يستلزم تشبيهه بأنقص الناقصين.

فانظر إلى الجهمية وأتباعهم، جاءوا إلى التشبيه المذموم فأعرضوا عنه صفحا، وجاءوا إلى الكمال والمدح فجعلوه تشبيها وتمثيلا، عكس ما يثبت القرآن، وجاء به من كل وجه.

ومن هذا قوله تعالى: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: ٤] .

هو سلب عن المخلوق مكافأته ومماثلته للخالق سبحانه، ولم يقل: ولم يكن هو كفوا لأحد، فينفى عن نفسه مشابته للمخلوق ومكافأته له، إذ كان ذلك أبين وأظهر من أن يحتاج إلى نفيه.

وسر ذلك: أن المقصود أن المخلوق لا يماثلُه سبحانه في شيء من صفاته وخصائصه. وأما كونه سبحانه هو لا يماثل المخلوق لا يماثل المخلوق، ولا يشابهه، ولا هو ند له ولا كفؤ، فليس فيه مدح له.

فإنه لو مدح بعض الملوك أو غيرهم بأنه لا يشبه الحيوانات، ولا الحجارة، ولا الخشب، ونحو ذلك، لم يعد هذا مدحا، ولا ثناء عليه، ولا كمالا له بخلاف ما إذا قيل: لا تجعل للملك ندا ولا كفؤا، ولا شبيها من رعيته، تعظمه كتعظيمه، وتطيعه كطاعته، فإنه ليس في رعيته من يساميه. ولا يماثلُه، ولا يكافئه: كان هذا غاية المدح.

وكذلك قول سبحانه: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١] .

إنما قصد به نفى أن يكون معه شريك، أو معبود يستحق العبادة والتعظيم، كما يفعل المشبهون والمشركون. ولم يقصد به نفى صفات كماله، وعلوه على خلقه، وتكلمه بكتبه، وتكليمه لرسله.

ورؤية المؤمنين له جهرة بأبصارهم، كما ترى الشمس والقمر في الصحو. فإنه سبحانه إنما ذكر هذا في سياق رده على المشركين، الذين اتخذوا من دونه أولياء. يوالونهم من دونه فقال تعالى:

{وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ٦ - ١١] .

فتأمل كيف ذكر هذا النفي تقريرا للتوحيد، وإبطالا لما عليه أهل الشرك: من تشبيه آلهتهم، وأوليائهم به، حتى عبدوهم معه. فحرفها الحرفون وجعلوها تُرْسًا لهم في نفى صفات كماله، وحقائق أسمائه وأفعاله.

وهذا التشبيه الذى أبطله الله سبحانه نفيا ونهيا: هو أصل شرك العالم، وعبادة الأصنام: ولهذا نهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يسجد أحد لمخلوق مثله أو يحلف بمخلوق مثله، أو يصلى إلى قبر، أو يتخذ عليه مسجدا، أو يعلق عليه قنديلا أو يقول القائل: ما شاء الله وشاء فلان. ونحو ذلك، حذرا من هذا التشبيه الذى هو أصل الشرك. وأما إثبات صفات الكمال فهو أصل التوحيد.

فتبين أن المشبهة هم الذين يشبهون المخلوق بالخالق فى العبادة والتعظيم والخضوع، والحلف به، والنذر له، والسجود له، والعكوف عند بيته، وحلق الرأس له، والاستغاثة به، والتشريك بينه وبين الله، فى قولهم: ليس لى إلا الله وأنت، وأنا متكلى على الله وعليك. وهذا من الله ومنك. وأنا فى حسب الله وحسبك، وما شاء الله وشئت. وهذا لله ولك. وأمثلة ذلك. فهؤلاء هم المشبهة حقا، لا أهل التوحيد، المثبتون لله ما أثبتته لنفسه، والنافون عنه ما نفاه عن نفسه، الذين لا يجعلون له ندا من خلقه، ولا عدلا، ولا كفوا، ولا سميا، وليس لهم من دونه ولى ولا شفيع.

فمن تدبر هذا الفصل حق التدبر تبين له كيف وقعت الفتنة فى الأرض بعبادة الأصنام، وتبين له سر القرآن فى الإنكار على هؤلاء المشبهة الممثلة، ولا سيما إذا جمعوا إلى هذا التشبيه تعطيل الصفات والأفعال. كما هو الغالب عليهم. فيجمعون بين تعطيل الرب سبحانه عن صفات كماله، وبين تشبيه خلقه به.

♦ وقال ابن القيم فى زاد المعاد فى بيان مضمون السورة: "فإن فى سورة الإخلاص من كمال التوحيد العلمى

الاعتقادى، وإثبات الأحديّة لله، المستلزمة نفى كلّ شركة عنه، وإثبات الصمديّة المستلزمة لإثبات كلّ كمال له مع كون الخلاق تصمداً إليه فى حوائجها، أى: تقصده الخليفة، وتتوجه إليه، علوياً وسفلياً، ونفى الوالد والولد، والكفء عنه المتضمن لنفى الأصل، والفرع والنظير، والمماثل مما اختصت به وصارت تعدل ثلث القرآن، ففى اسمه "الصمد" إثبات كل الكمال، وفى نفى الكفء التنزيه عن الشبيه والمثال. وفى "الأحد" نفى كلّ شريك لذى الجلال، وهذه الأصول الثلاثة هى مجامع التوحيد".

♦ وقال أيضا: "وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: سنة الفجر تجرى مجرى بداية العمل، والوتر خاتمة. ولذلك كان النبي ﷺ يصلى سنة الفجر والوتر بسورتي الإخلاص وهما الجامعتان لتوحيد العلم والعمل، وتوحيد المعرفة والإرادة، وتوحيد الاعتقاد والقصد، انتهى.

فَسُورَةُ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مُتَضَمِّنَةٌ لِتَوْحِيدِ الْإِعْتِقَادِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَمَا يَجِبُ إِثْبَاتُهُ لِلرَّبِّ تَعَالَى مِنَ الْأَحَدِيَّةِ الْمُنَافِيَةِ لِمُطْلَقِ الْمُشَارَكَةِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ، وَالصَّمَدِيَّةِ الْمُثْبِتَةِ لَهُ جَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي لَا يَلْحَقُهَا نَقْصٌ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ، وَنَفْيِ الْوَلَدِ وَالْوَالِدِ الَّذِي هُوَ مِنْ لَوَازِمِ الصَّمَدِيَّةِ، وَغَنَاءُ وَأَحَدِيَّتِهِ، وَنَفْيِ الْكُفْءِ الْمُتَضَمِّنِ لِنَفْيِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمَثِيلِ وَالتَّنْظِيرِ، فَتَضَمَّنَتْ هَذِهِ السُّورَةُ إِثْبَاتَ كُلِّ كَمَالٍ لَهُ، وَنَفْيَ كُلِّ نَقْصٍ عَنْهُ، وَنَفْيَ إِثْبَاتِ شَيْءٍ أَوْ مَثِيلٍ لَهُ فِي كَمَالِهِ، وَنَفْيَ مُطْلَقِ الشَّرِيكِ عَنْهُ،

وهذه الأصول هي مجامع التوحيد العلمي الاعتقادي الذي يباين صاحبه جميع فرق الضلال والشرك، ولذلك كانت تعدل ثلث القرآن، فإن القرآن مداره على الخبر والإنشاء، والإنشاء ثلاثة: أمر، ونهي، وإباحة.

والخبر نوعان: خبر عن الخالق تعالى وأسمائه وصفاته وأحكامه، وخبر عن خلقه. فأخلصت سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الخبر عنه، وعن أسمائه وصفاته، فعدلت ثلث القرآن، وخلصت قارئها المؤمن بها من الشرك العلمي، كما خلصت سورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ من الشرك العملي الإرادي القصدي. ولما كان العلم قبل العمل وهو إمامه وقائده وسائقه، والحاكم عليه ومُنزله منازله، كانت سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن. (أي ان ابن القيم يختار انها تعدل ثلث القرآن لما فيها من معنى التوحيد)

والأحاديث بذلك تكاد تبُلغ مبلغ التواتر، و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ تعدل ربع القرآن، والحديث بذلك في الترمذي من رواية ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه «إِذَا زُلْزِلَتْ» تعدل نصف القرآن و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن، و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ تعدل ربع القرآن. رواه الحاكم في "المستدرک" وقال: صحيح الإسناد. (وقد قال الالباني في صحيح الترمذي: صحيح دون فضل زلزلت قال ابن حجر في الفتح: "وهو حديث ضعيف لضعف سلمة وإن حسنه الترمذي فلعله تساهل فيه لكونه من فضائل الأعمال، وكذا صحح الحاكم حديث ابن عباس وفي سنده يمان بن المغيرة وهو ضعيف عندهم").

ولما كان الشرك العملي الإرادي أغلب على النفوس لأجل متابعتها هواها، وكثير منها ترتكبه مع علمها بمضرته وبطلانه، لما لها فيه من نيل الأغراض، وإزالته وقلعه منها أصعب، وأشد من قلع الشرك العلمي وإزالته، لأن هذا يزول بالعلم والحجة، ولا يمكن صاحبه أن يعلم الشيء على غير ما هو عليه، بخلاف شرك الإرادة والقصدي، فإن صاحبه يرتكب ما يدله العلم على بطلانه وضرره لأجل غلبة هواه، واستيلاء سلطان الشهوة والغضب على نفسه، فجاء من التأكيد والتكرار في سورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ المتضمنة لإزالة الشرك العملي، ما لم يجئ مثله في سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

...ولهذا كان يقرأ بهاتين السورتين في ركعتي الطواف ولأتهما سورتا الإخلاص والتوحيد، كان يفتتح بهما عمل النهار، ويختم بهما، ويقرأ بهما في الحج الذي هو شعار التوحيد.

♦ وقال في اجتماع الجيوس الإسلامية: " [فصل في التوحيدين اللذين عليهما مدار كتاب الله تعالى]

وملاك النجاة والسعادة والفوز بتحقيق التوحيدين اللذين عليهما مدار كتب الله تعالى وبتحقيقهما بعث الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ، وإليهما رغب الرسل صلوات الله وسلامه عليهم "كلهم" من أولهم إلى آخرهم.

أحدهما التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي المتضمن إثبات صفات الكمال لله تعالى وتنزيهه فيها عن التشبيه والتشثيل

وَتَنْزِيهِهِ عَنْ صِفَاتِ النَّقْصِ.

والتَّوْحِيدُ الثَّانِي: عِبَادَتُهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَجَرِيدُ مَحَبَّتِهِ، وَالْإِخْلَاصُ لَهُ، وَخَوْفُهُ وَرَجَاؤُهُ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ، وَالرِّضَى بِهِ رَبًّا وَهَلَّا وَوَلِيًّا وَأَنْ لَا يَجْعَلَ لَهُ عَدْلًا فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ.

وَقَدْ جَمَعَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هَذَيْنِ التَّوَعْنَيْنِ مِنَ التَّوْحِيدِ فِي سُورَتِي الْإِخْلَاصِ وَهُمَا: سُورَةُ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ الْمُتَضَمِّنَةُ لِلتَّوْحِيدِ الْعَمَلِيِّ الْإِرَادِيِّ، وَسُورَةُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الْمُتَضَمِّنَةُ لِلتَّوْحِيدِ الْخَبَرِيِّ الْعِلْمِيِّ.

فَسُورَةُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فِيهَا بَيَانٌ مَا يَجِبُ لِلَّهِ تَعَالَى مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَبَيَانٌ مَا يَجِبُ تَنْزِيهِهُ عَنْهُ مِنَ التَّقَايِصِ وَالْأَمْثَالِ، وَسُورَةُ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ فِيهَا إِجْبَابُ عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ (لَا شَرِيكَ لَهُ) وَالتَّبَرِّي مِنْ عِبَادَةِ كُلِّ مَا سِوَاهُ وَلَا يَتِمُّ أَحَدُ التَّوْحِيدَيْنِ إِلَّا بِالْآخَرِ وَهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ بِهَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ فِي سُنَّةِ الْفَجْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْوُتْرِ اللَّتَيْنِ هُمَا فَاتِحَةُ الْعَمَلِ وَخَاتِمَتُهُ لِيَكُونَ مَبْدَأُ النَّهَارِ تَوْحِيدًا وَخَاتِمَتُهُ تَوْحِيدًا.

فَالتَّوْحِيدُ الْعِلْمِيُّ الْخَبَرِيُّ لَهُ ضِدَانِ التَّعْطِيلُ وَالتَّشْبِيهُ وَالتَّمْثِيلُ فَمَنْ نَفَى صِفَاتِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ وَعَطَّلَهَا كَذَبَ تَعْطِيلُهُ تَوْحِيدَهُ، وَمَنْ شَبَّهَهُ بِخَلْقِهِ وَمَثَّلَهُ بِهِمْ كَذَبَ تَشْبِيهِهِ وَتَمْثِيلُهُ تَوْحِيدَهُ. وَالتَّوْحِيدُ الْإِرَادِيُّ الْعَمَلِيُّ لَهُ ضِدَانِ: الْإِعْرَاضُ عَنْ مَحَبَّتِهِ وَالْإِنَابَةُ إِلَيْهِ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ، أَوْ الْإِشْرَافُ بِهِ فِي ذَلِكَ وَاتِّخَاذُ أَوْلِيَائِهِ شُفَعَاءَ مِنْ دُونِهِ.

وَقَدْ جَمَعَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ التَّوْحِيدَيْنِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١]

وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنِّي تُؤْفَكُونَ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦١]

وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ بِمَا تَعُدُّونَ ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [السجدة: ٤].

والله اعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.
تم بحمد الله تعالى تفسير سورة الإخلاص.

جمع واعداد
محمد مريس الحجاجي

[المصادر]

- ١- تفسير جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري.
- ٢- تفسير القرآن العظيم لابن كثير.
- ٣ - تفسير المحرر الوجيز ابن عطية.
- ٤- تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور .
- ٥- تفسير فتح القدير للشوكاني
- ٦- تفسير الجامع لاحكام القرآن للقرطبي.
- ٧- تفسير للرازي.
- ٨- تفسير معالم التنزيل للبغوي.
- ٩- تفسير نظم الدرر للبقاعي.
- ١٠- تفسير زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي .
- ١١- مفتاح دار السعادة لابن القيم.

- ١٢- مدارج السالكين لابن القيم
- ١٣- بدائع الفوائد لابن القيم.
- ١٤- زاد المعاد لابن القيم .
- ١٥- اعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم.
- ١٦- فتح الباري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
- ١٧- عمدة القاري لمحمد بن أحمد بن موسى العيني.
- ١٨- مجموع فتاوى ابن تيمية .
- ١٩- شرح الواسطية لعبد الرحمن البراك.
- ٢٠- الجواب الصحيح لابن تيمية.
- ٢١- بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية.
- ٢٢- اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية .
- ٤٠- التعليق على المصباح المنير لخالد السبت.
- ٤١- تفسير مصطفى العدوي.
-